بسم الله الرحمن الرحيم

شرح

صحيح البخاري

رحمه الله

(ت / ٢٥٦ هـ)

كتاب الإيمان

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

مقدمة

- اسم الكتاب : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه .
- اسم مؤلفه : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ،ولد عام (١٩٤هـ) ومات (٢٥٦ هـ) .
- له تصانيف كثيرة غير الصحيح منها : التاريخ الكبير ، الأدب المفرد ، القراءة خلف الإمام .
- سمع الصحيح منه نحو تسعين ألفاً من أشهرهم : أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربْري المتوفى عام (٣٢٠ هـ) .
- كانت مدة تأليف البخاري (١٦) عاماً ، وقد ابتدأه في المسجد الحرام ثم انتقل إلى البصرة ثم إلى بخارى ثم أتمه في المدينة النبوية .
- هو أصح كتاب بعد القرآن العزيز .
- عدد معلقات صحيح البخاري (١٣٤١) حديثاً معلقاً .
- عدد أبواب صحيح البخاري (٣٤٥٠) باباً ، وأما عدد كتبه فهي (٩٧) كتاباً .
- مرتب على حسب الكتب والجوامع ، واقتصر على الأحاديث الصحيحة .
- خلوه من المقدمة وابتداءه بحديث (إنما الأعمال بالنيات) .
- أنه يكرر الأحاديث كثيراً .
- أنه يقطع الحديث ويفرقه على الأبواب ربطاً منه للحديث بموضعه .
- يعنى بإيراد الاستنباطات في تراجم أبوابه .
- أنه يستهل كل كتاب غالباً بآية أو آيات قرآنية .
- يشتمل كتابه على الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمقطوعة .
- يعنى البخاري بتفسير بعض الكلمات الغريبة .
- أهم شروحه : فتح الباري للحافظ ابن حجر وهذا أهم الشروح وأوسعها ، ويتميز بكثرة مصادره التي بلغت : ١٣٠٠ كتاب مع مقدمته الحافلة التي سماها هدي الساري ، وشرح عمدة القاري للعيني .
- هو أول من اعتنى بجمع الصحيح : فجمع صحيحه وانتقاه من مائة ألف ، ثم جاء بعده تلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري .

سبب تأليفه : فقد قال البخاري : كنت عند إسحاق بن راهوية، فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب) السير [١٢ / ٤٠١] .

وقيل : إن الإمام البخاري قد اطلع على المصنفات الموجودة قبله فوجدها قد اختلطت الأحاديث الصحيحة بالضعيفة ، فأراد أن يجمع الأحاديث الصحيحة فقط بحيث لا يشك فيها أحد .

وقيل : قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وكأنني واقف بين يديه ، وبيدي مروحة أذب عنه ، فسألت بعض المعبرين ، فقال : أنت تذب عنه الكذب ، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح .

أصح الكتب بعد القرآن العزيز : صحيحي البخاري ومسلم .

قال النووي : اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم: الصحيحان، البخاري، ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول.

وقال ابن تيمية : إن الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم

- **البخاري أصح من مسلم :**

البخاري أصح وأرجح من مسلم وهذا مذهب أكثر العلماء .

قال النووي : وكتاب البخاري أصحهما ، وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صح أن مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث .

- **أسباب ترجيح البخاري على صحيح مسلم** :

أولاً : أن شرط البخاري أضيق من شرط مسلم ، إذ يشترط أن يكون الراوي قد ثبت له لقاء من روى عنه ــ ولو مرة ــ واكتفى مسلم بمطلق المعاصرة مع احتمال اللقي .

قال ابن الصلاح : لأنه اشترط في إخراجه الحديث أن يكون الراوي قد عاصر شيخه وثبت عنده سماعه منه .

ثانياً : أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم (٤٣٥) رجلاً ، والمتكلم فيه منهم نحو (٨٠) رجلاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإيمان

وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ). (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً) وَقَوْلُهُ (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً). وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً). وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) . وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ مِنَ الإِيمَانِ . وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ إِنَّ لِلإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُوداً وَسُنَناً، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) . وَقَالَ مُعَاذٌ اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ الْيَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ . وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ (شَرَعَ لَكُمْ) أَوْصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِيناً وَاحِداً . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) سَبِيلاً وَسُنَّةً .

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وقد حكى اتفاق السلف على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل ، غير واحد من أهل العلم ، كالشافعي وأحمد والبخاري وابن عبد البر والبغوي .

مثال القول : لا إله إلا الله ، والذكر ، وقراءة القرآن .

مثال العمل : الركوع .

مثال العقد : الإيمان بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك مما يجب اعتقاده .

الدليل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد .

قول باللسان : الأدلة :

قوله تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ...) .

وقال ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) متفق عليه

عمل الجوارح : الأدلة :

قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ...) .

ثبت في سبب نزول هذه الآية كما جاء في حديث البراء الطويل وفي آخره (أنه مات رجال على القبلة قبل أن تحول وقتلوا ، فلم ندرِ ما نقول فيهم ، فأنزل الله : وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم .

فثبت أن الصلاة إيمان ، وقد بوب البخاري باب (الصلاة من الإيمان) .

والحديث الذي سيذكره المصنف (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ،والحياء شعبة من الإيمان) متفق عليه .

قال ابن مندَه (فجعل الإيمان شعباً بعضها باللسان والشفتين ، وبعضها بالقلب ، وبعضها بسائر الجوارح) .

وقال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) .

فجعل الإخلاص والصلاة والزكاة من الدين .

وخالف أهل السنة أهل الإرجاء فقالوا : الإيمان مجرد المعرفة في القلب وهذا قول الجهمية [وهذا من أخبث الأقوال] وعلى هذا القول يكون إبليس مؤمناً لأنه عرف ربه [قال رب بما أغويتني] .

وقال بعضهم : إن الإيمان هو تصديق بالقلب ونطق باللسان ، وهؤلاء هم مرجئة الفقهاء ومنهم الحنفية ، وهؤلاء لا يجعلون الأعمال من الإيمان .

والبخاري في كتاب الإيمان هذا سيبين مذهب أهل السنة والجماعة ، ويرد على طائفتين وهما : الخوارج الذين يقولون بكفر فاعل الكبيرة ، والمرجئة الذين يقولون الإيمان نطق باللسان وتصديق بالقلب .

٨ – عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ) .

[م : ١١٤] .

(**عَنِ ابْنِ عُمَرَ**) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبد الرحمن ، الفقيه ، أحد الأعلام في العلم والعمل ، أسلم صغيراً مع أبيه عمر ﷺ ، مات في مكة سنة (٧٣) هـ

(**بني**) أي : أقيم .

(**خمس**) أي دعائم **الإسلام** : المراد هنا الدين .

(**إقامة الصلاة**) الإتيان بها والمداومة عليها .

(**صوم رمضان**) الصوم الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية . سمي شهر رمضان بذلك : قيل : لأن الذنوب ترمض فيه ، أي تحترق ، **وقيل** : لأن فرضه كان في يوم حار .

١– أن الإسلام بني على هذه الأركان الخمس ، فمن أنكر واحداً منها فليس بمسلم .

ومعنى الحديث : أن الإسلام بني على هذه الخمس ، خمس كالأركان والدعائم لبنيانه ، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيانه ، ودعائمه هذه الخمس ، فلا يثبت البنيان بدونها .

٢– المقصود بالإسلام هنا الإسلام الخاص الذي بعث به محمد ﷺ .

لأن الإسلام في الكتاب والسنة له إطلاقان :

الإطلاق الأول : الإسلام العام .

كما قال تعالى (وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) .

وقال تعالى (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً) .

وقال سبحانه (هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ..) .

فالمقصود بالإسلام هنا الإسلام العام الذي يفسر بأنه: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

الإطلاق الثاني : الإسلام الخاص .

وهو الذي بعث به محمد ﷺ ، وهو الذي إذا أطلق لم يقصد إلا هو على وجه الخصوص .

فالمقصود بقوله (بني الإسلام ..) يعني الإسلام الخاص الذي جاء به نبينا محمد ﷺ .

٣– أن أركان الإسلام ترتيبها بالأهمية على حسب ترتيب النبي ﷺ لها في هذا الحديث .

٤- أن الشهادتين أهم أركان الإسلام .

٥- معنى شهادة أن لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله .

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع .

٦- أن الإنسان لا يدخل بالإسلام إلا بالشهادتين .

ولذلك قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن (... فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ..) .

٧- أن الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين .

ولذلك قال ﷺ لمعاذ كما في الحديث السابق (.. فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة) .

٨- وجوب إيتاء الزكاة لمستحقها ، وأن ذلك من أركان الإسلام . والزكاة قرينة الصلاة في كثير من المواضع :

قال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) .

وقال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ) .

وقال النبي ﷺ لمعاذ (... فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات ... فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ ...) .

٩- وجوب صوم رمضان .

١٠- وجوب الحج على المستطيع .

١١- إذا ترك الإنسان واحداً من أركان الإسلام هل يكفر ؟

نقول : تارك أحد الأركان لا يخلو من حالات :

الأولى : أن يترك الشهادتين فلا ينطقها فهذا كافر ولا خلاف في هذا ، لأنه لا يصير مسلماً إلا بها .

الثانية : أن يترك الصلاة فهذا فيه خلاف على قولين في كفره :

و الراجح : أنه يكفر كما هو مذهب الإمام أحمد و غيره للأدلة الكثيرة :

منها قول الرسول ﷺ كما عند الترمذي (العهد الذي بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) .

وقوله ﷺ (بين الرجل و الشرك و الكفر ترك الصلاة) رواه مسلم .

و عن عبد الله بن شقيق رضي الله عنه قال: (ما كان أصحاب محمد يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة) .

الثالثة : أن يترك الزكاة أو الصيام أو الحج تهاوناً وكسلاً :

فهذا اختلف العلماء في كفره على قولين – هما روايتان عن الإمام أحمد – :

و أقربهما أنه لا يكفر ولكنه مرتكب كبيرة من الذنوب يستحق عليها العقوبة الدنيوية و الأخروية .

لأثر عبد الله بن شقيق رضي الله عنه السابق قال (ما كان أصحاب محمد يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة) .

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في تارك الزكاة وفيه (حتى يرى سبيله إما إلى الجنة و إما إلى النار) فلو كان كافراً لقطع له بالنار ، واختار هذا الشيخ ابن عثيمين .

١٢- فضل الإحسان إلى الخلق .

١٣- فضل المال للرجل الصالح حيث يعطي حقه ويصرف منه في وجوه الخير .

١٤- اهتمام الشريعة الإسلامية بالفقراء والمساكين ، حيث أمرت الأغنياء بدفع جزء قليل من مالهم للفقراء ، ورتبت الأجر الكبير على من ساعد الفقراء والمساكين .

١٥- الحرص على تزكية النفس ، لأن الزكاة تزكية للنفس والمال .

١٦- جواز إطلاق (رمضان) دون إضافة لفظة (شهر) إليه وهذا مذهب جماهير العلماء .

ومما يدل على الجواز :

قوله ﷺ (إذا جاء رمضان فتحت ..) .

وقوله ﷺ (لا تقدموا رمضان بصوم يوم ...) .

وقوله ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً ...) .

١٧- حكمة الشرع العظيمة ، في أن هذه العبادات منها ما هو واجب يومي ، ومنها ما هو سنوي ومنها ما هو واجب في العمر مرة واحدة .

فائدة :

سؤال : لماذا لم يذكر الجهاد مع أن الجهاد من أفضل الأعمال ؟

الجواب :لأنه فرض كفاية ولا يتعين إلا في بعض الأحوال .

سؤال : ما وجه الحصر في هذه الخمسة ؟

أجيب : بأن العبادة إما قولية وهي الشهادة، أو غير قولية، فهي إما تزكيّ وهو الصوم، أو فعلي وهو إما بدني وهو الصلاة، أو مالي وهو الزكاة ، أو مركب منهما وهو الحج .

سؤال : لم يذكر الإيمان بالأنبياء والملائكة عليهم السلام وغير ذلك مما تضمنه سؤال جبريل ؟

أجيب : بأن المراد بالشهادة تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به ، فيستلزم جميع ما ذُكر من المعتقدات .

باب أُمُورِ الإِيمَانِ

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) .

[م : ٣٥ بلفظ : الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ] .

(**الإيمان**) لغة التصديق وشرعاً : قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالأركان .

(**بضع**) البضع : وهو من الثلاثة إلى العشرة .

(**شعبة**) بالضم أي قطعة .

(**الحياء**) خلق يبعث على فعل الجميل وترك القبيح .

١- الحديث دليل على أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان . فجعل القول والعمل من الإيمان .

فالقول : لا إله إلا الله كما في هذا الحديث عند مسلم (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ) .

والعمل : إماطة الأذى عن الطريق ، كما في رواية مسلم (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) .

والاعتقاد : الحياء ، لقوله (والحياء شعبة من الإيمان) .

٢- الرد على المرجئة [القائلين أن الإيمان اعتقاد بالقلب] .

٣- ينبغي معرفة مراتب الأعمال الصالحة .

٤- أن الإيمان يتجزأ .

٥- أن الإيمان يزيد وينقص .

٦- فضل الحياء وأنه من الإيمان .**والحياء له فضائل** :

أولاً : أنه من علامات الإيمان .

لحديث الباب ولحديث ابن عمر (دعه فإن الحياء من الإيمان) .

ثانياً : الحياء أبهى زينة .

عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه ، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه) رواه الترمذي .

ثالثاً : الحياء من صفات الرب .

عن يعلى بن أمية قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر) . رواه أبو داود

رابعاً : الحياء خلق يحبه الله .

للحديث السابق .

خامساً : الحياء خلق الإسلام .

عن زيد بن طلحة قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياء) . رواه مالك

سادساً : الحياء خير كله .

لحديث عمران (الحياء خير كله) رواه مسلم .

سابعاً : الحياء مانع من فعل القبيح .

لقوله ﷺ (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) رواه البخاري .

- هناك بعض الأمور يكون الحياء فيها مذموماً ، **وهي** :

أولاً : الحياء في طلب العلم .

قالت عائشة : (نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) . رواه مسلم

وقال مجاهد : لا ينال العلم مستحي ولا مستكبر .

ثانياً : عدم قول الحق والجهر به .

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) .

قال ابن حجر : ولا يقال رب حياء يمنع من الحق ، أو فعل الحق ، لأن ذلك ليس شرعياً .

قال ابن رجب رحمه الله : إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح ، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله أو حقوق عباده فليس هو من الحياء فإنما هو ضعف وخور وعجز ومهانة .

والحياء نوعان :

أحدهما : ما كان خلقاً وجبلة غير مكتسب ، فهذا من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها .

ولهذا قال النبي ﷺ : (الحياء لا يأتي إلا بخير) فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها .

الثاني : ما كان مكتسباً من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده واطلاعه عليهم ، فهذا من أعلى خصال الإيمان ، بل هو من أعلى درجات الإحسان .

- **من أقوال السلف في الحياء :**

قال الفضيل : خمس من علامات الشقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل .

قال سليمان : إذا أراد الله بعبد هلاكاً نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً .

وقال أبو موسى : إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي .

- أن من نزع منه الحياء فعل ما يشاء .

قال الشاعر :

إذا قلّ ماء الوجه قل حياؤه ... فلا خير في وجه إذا قل ماؤه

حياءك فاحفظه عليك فإنما ... يدل على وجه الكريم حياؤه

باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

١٠- عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) .

[مسلم : ١٦١ دون قوله : والمهاجر من هجر ما نهى عنه] .

باب : أي الإسلام أفضل

١١- وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ (قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ قَالَ « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) [م / ٤٢] .

(**المسلم**) المراد به هنا المسلم الكامل وليس المراد نفي أصل الإسلام .

(**من لسانه**) من سب وشتم ولعن .

(**ويد**) أي ضرب وبطش .

قال النووي : معناه : من لم يؤذ مسلماً بقول ولا فعل ، وخَصّ اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها .

(**أي الإسلام أفضل**) أي : ذوي الإسلام أفضل ، ويؤيده رواية مسلم (أي المسلمين أفضل) .

١- تحريم إيذاء المسلمين بأي نوع من أنواع الأذى .

وخص الحديث اللسان واليد بالذكر لأن أكثر الأفعال بهما .

ومما يدل على تحريم إيذاء المسلمين :

قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) .

٢- أن من علامات المسلم الكامل أن يسلم الناس من إيذائه بأي نوع من الأذى .

٣- أن إيذاء المسلمين من علامات نقص الإيمان .

٤- قوله (سلم المسلمون) ذِكْر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب ، لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيداً ، وإلا فإن الكافر المستأمن والمعاهد في بلدنا يجب كف الأذى عنه .

٥- وجوب العناية بحقوق العباد وعدم ظلمهم بشيء .

٦- أن الإيمان يزيد وينقص .

٧- أن خصال الإسلام متفاوتة .

٨- حرص الشريعة على حماية حقوق الناس .

٩- أن المفتي ينظر بحال السائل ويجيبه بما ينفعه .

١٠- فضل هجر ما نهى الله عنه ، بل هي من أفضل الطاعات .

١١- أن من هجر ما نهى الله عنه عوضه الله ورزقه .

قال تعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً) ومن ذلك الهجرة من بلد لا يستطيع أن يقيم فيها دينه، فإن هذا من هجرة ما نهى الله عنه .

وإبراهيم لما هاجر وترك قومه عوضه الله (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً . فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً) .

- والهجرة فضلها عظيم :

قال تعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً) .

ففي هذه الآية وعد الله تعالى أن من هاجر في سبيله سيجد أمرين :

أولهما : مراغماً كثيراً .

وثانيهما : سعة .

والمراد بالأمر الأول كما يقول الرازي : (مراغماً) ومن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلدته الأصلية .

والمراد بالأمر الثاني (سعة) السعة في الرزق .

- وهي ٣ أنواع :

الأول : هجرة ترك المعاصي ، كما قال ﷺ (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) .

والثاني : مفارقة الدار والتحول عنها ، وهذا له صور أعظمها مفارقة بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

ومن أعظم الهجرة هجرة القلوب: وهي الهجرة العظيمة، وهي إلى الله بالإخلاص وإلى رسوله ﷺ بالمتابعة .

قال ابن رجب : أصل الهجرة : هجران الشر ومباعدته لطلب الخير ومحبته والرغبة فيه .

والهجرة عند الإطلاق في كتاب السنة إنما تنصرف إلى هجران بلد الشرك إلى دار الإسلام رغبة في تعلم الإسلام والعمل به ، وإذا كان كذلك فأصل الهجرة : أن يهجر ما نهاه الله عنه من المعاصي ، فيدخل في ذلك هجران بلد الشرك رغبة في دار الإسلام ، وإلا فمجرد هجرة بلد الشرك مع الإصرار على المعاصي ليس بهجرة تامة كاملة ، بل الهجرة التامة الكاملة : هجران ما نهى الله عنه ، ومن جملة ذلك : هجران بلد الشرك مع القدرة عليه .

باب إطعام الطعام من الإسلام

١٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو م أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ قَالَ : (تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)

[م / ٣٩] .

(**أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ**) أي : خصال الإسلام خير .

(**تُطْعِمُ الطَّعَامَ**) تنفق الطعام على المحتاجين .

(**وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ**) أي تنشره وتقوله .

١- حرص الصحابة على السؤال عما ينفعهم .

٢- علو همة الصحابة، حيث هذا الصحابي سأل على أفضل خصال الإسلام. **وقد جاء الحث على علو الهمة:**

قال ﷺ (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها) رواه الطبراني .

وقال ﷺ (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا) متفق عليه

وقال ﷺ (إذا سأل أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه) رواه ابن حبان .

وقال ﷺ (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى) رواه البخاري .

وقال ﷺ (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، قال عمر : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ) رواه البخاري .

وعن ربيعة بن كعب قال (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سلني، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود) . رواه مسلم

٣- أن خصال الإسلام متفاوتة فليست على مرتبة واحدة .

فقد قال ابن مسعود : أي الأعمال أحب إلى الله ؟

وسئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل ؟

٤- فضل إطعام الطعام :

وقد مدح الله المطعمين للطعام :

فقال تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) .

ثم ذكر تعالى جزيل ما أثابهم عليه :

فقال تعالى (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً) .

وهو من أسباب النجاة من كرب يوم القيامة :

قال تعالى (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً . وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً) .

من أسباب دخول الجنة .

قال ﷺ (يا أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، ... تدخلوا الجنة بسلام) . رواه الترمذي

٥- فضل نشر وإشاعة السلام . **والسلام له فضائل :**

أولاً : أنه سبب للمحبة .

قال ﷺ: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم). رواه مسلم

ثانياً : أنه من خير خصال الإسلام .

لحديث الباب .

ثالثاً : من أسباب دخول الجنة .

قال ﷺ : (يا أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، ... تدخلوا الجنة بسلام) . رواه الترمذي

٦- قال بعض العلماء : وجه تخصيص هاتين الخصلتين هو مساس الحاجة إليهما في ذلك الوقت ، لما كانوا فيه من الجهد ، ولمصلحة التأليف ، ويدل على ذلك أنه ﷺ حث عليهما أول ما دخل المدينة كما رواه الترمذي مصححاً من حديث عبد الله بن سَلام قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه، فكنت ممن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستثبته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

٧- أن السنة إشاعة السلام على جميع الناس من تعرف ومن لا تعرف .

قال النووي : أي تسلم على كل مَن لقيته عرفته أم لم تعرفه ، ولا تخُص به من تعرفه كما يفعله كثير من الناس .

٨- قوله (وتقرأ السلام ...) هذا عام مخصوص بالكفار فلا يجوز ابتداء الكافر بالسلام .

لقوله ﷺ (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام) متفق عليه .

٩- جعل السلام على الجميع لمن يعرف ومن لا يعرف حتى يكون خالصاً لله تعالى ، بريئاً من حظ النفس ، والتصنع ، لأنه شعار الإسلام ، فحق كل مسلم فيه شائع .

١٠- في إطعام الطعام وإفشاء السلام المحبة الدينية ، لمن بذلهما أحبه الله وأحبه الناس .

ولذلك في الحديث (ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم) .

١١- الحث على الكرم والجود ومكارم الأخلاق .

١٢- تفاوت مراتب الإسلام .

١٣- الاعتناء بما ينفع المسلمين .

١٤- الحث على تألف قلوب المسلمين .

١٥- استحباب استجلاب ما يحصل به محبة المسلمين .

١٦- أن المسلم ينبغي أن يحرص على نفع جميع المسلمين ولا يخص بعضهم لمعرفة .

١٧- **إشكال :**

جاء في هذا الحديث أن النبي ﷺ لما سئل قال : تطعم الطعام وتقرأ ....

وجاء حديث آخر فيه جواب ثاني : من سلم المسلمون من لسانه ...

وجاء جواب ثالث : أن أفضل الأعمال الصلاة على وقتها ؟

فما الجمع بينهما ؟

أن الجواب يرجع لحال السائل .

أو بما يناسب الحال .

فتارة يقول الصلاة في أول وقتها ، وتارة الجهاد في سبيل الله ، وتارة الصدقة .

ولا شك أن هذه أجوبة الحكمة والسداد ، وفتاوى من يريد العمل والصالح العام .

فإن لكل إنسان عملاً يصلح له ولا ينجح إلا به ، فينبغي توجيهه إليه .

وكذلك الوقت :

فحيناً تكون الصدقة أفضل من غيرها كوقت المجاعات والحاجة .

وتارة يكون طلب العلم الشرعي ، أنفع للحاجة إليه .

وهكذا .

باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

١٢- **عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)** .

[مسلم : ١٧٠] .

(**لا يؤمن أحدكم**) أي الإيمان الكامل .

(**ما يحب لنفسه**) من الخير، كما ثبت في رواية النسائي، والخير : كلمة جامعة تعم الطاعات، والمباحات الدنيوية والأخروية.

١- الحديث دليل على أن من علامات الإيمان الكامل أن يحب الإنسان لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير .

وقد جاء في الحديث عن يزيد بن أسد: قال: قال لي رسول الله ﷺ : (أتحب الجنة ؟ قلت: نعم ، قال: فأحب لأخيك ما تحب لنفسك) رواه أحمد .

أمثلة :

- عن أبي ذر . قال: قال لي رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين على اثنين) رواه مسلم .
- **قال ابن رجب** : وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف .
- **قال الشافعي** : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شيء .

فقوله [وددت] دليل على محبته الخير للناس .

- **قال ابن عباس** : إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم .
- وحكي أن بعضهم شكا كثرة الفأر في بيته ، فقيل له : اقتني هرة ، فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهرة فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببتُ لهم ما لا أحبه لنفسي .
- وفي كلام بعضهم : ارضَ للناس ما لنفسك ترضى .

○ قيل للأحنف وكان أحلم الناس ، ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من نفسي ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا كرهت شيئاً من غيري لم أفعل بأحد مثله .

٢- أن من كره لأخيه الخير فليس بمؤمن الإيمان الكامل .

٣- المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة ، فيحب لها ما يحب لنفسه من حيث أنها نفس واحدة ، كقوله ﷺ : (المسلمون كالجسد الواحد) .

٤- الحث على التواضع ومحاسن الأخلاق ، حيث بحبه لأخيه الخير كما يحب لنفسه دليل على تواضعه ، وأنه لا يحب أن يكون أفضل من غيره.

٥- الحث على ترك البغضاء والغل .

٦- الترغيب في محبة المسلمين بعضهم بعضاً وائتلافهم ، لأن ذلك يؤدي إلى التعاضد والتناصر .

٧- الحرص على الأعمال التي تؤدي إلى زيادة الإيمان كحب الخير للمسلمين .

٨- التحذير من الأعمال التي تؤدي إلى نقصان الإيمان كعدم محبة الخير للمسلمين .

٩- ذم الأنانية والحسد والكراهية .

١٠- العمل بمضمون الحديث يؤدي إلى نشر المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي ، ويؤدي أيضاً إلى تماسكه .

٨- باب : حب الرسول ﷺ من الإيمان

١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ) .

١٥-وعَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) .

[مسلم : ١٦٩] .

(**لا يؤمن**) أي الإيمان الكامل .

(**من أهله وماله والناس أجمعين**) من باب عطف العام على الخاص .

١- الحديث دليل على أن من علامات الإيمان الكامل محبة النبي ﷺ أكثر من كل الناس حتى من النفس .

ولذا لما قال عمر للنبي ﷺ : أنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر : والله لأنت أحب إليّ من نفسي ، قال : الآن يا عمر .

(الآن يا عمر) قال العيني : يعني كمل إيمانك .

فيجب تقديم محبة الرسول ﷺ على النفوس ، والأولاد ، والأقارب ، والأهلين ، والأموال ، والمساكن ، وغير ذلك مما يحبه الإنسان غاية المحبة .

وقد توعد الله عز وجل من قدم شيئاً من الدنيا [من أهل أو ولد أو مال] على محبة الله ورسوله فقال سبحانه (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) .

قال القرطبي في تفسيره : وفي الآية دليل على وجوب حب الله تعالى ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك ، وأن ذلك مقدم على كل محبوب .

٢- **ثمرات محبة النبي ﷺ :**

أولاً : من أسباب حلاوة الإيمان .

كما في الحديث السابق (ثلاث من كن فيه .....) .

ثانياً : يحشر معه .

فقد قال ﷺ (المرء مع من أحب) متفق عليه .

ثالثاً : من أسباب محبة الله .

قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

رابعاً : مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

كما قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) .

خامساً : سبب لمحبة الله .

قال تعالى (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) .

سادساً : في طاعته الهداية .

كما قال تعالى (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) .

- **بواعث محبة النبي ﷺ .**

يدعو المسلم إلى محبة النبيﷺ أمور عدة منها:-

أولاً : موافقة مراد الله عز و جل في محبته لنبيه وتعظيمه له .

فقد أقسم بحياته تعظيماً له في قوله (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) كما أثنى عليه فقال :(وإنك لعلى خلق عظيم) وقال: (ورفعنا لك ذكرك) .

قال ابن القيم: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه .

ثانياً : أن محبته وتعظيمهﷺ من شرط إيمان العبد .

قال ابن تيمية : إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله وسقوط ذلك سقوط الدين كله .

ثالثاً : ما ميزه الله تعالى به من شرف النسب وكرم الحسب وصفاء النشأة وكمال الصفات والأخلاق والأفعال .

رابعاً : شدة محبتهﷺ لأمته وشفقته عليها ورحمته بها .

قال الله تعالى: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)

وكم كان يسأل الله تعالى الخير لأمته ويفرح بفضل الله عليها ، وكم تحمل من مشاق نشر الدعوة وأذى المشركين بالقول والفعل حتى أتم الله به الدين وأكمل به النعمة .

- **علامات محبة النبي ﷺ .**

لمحبة النبي ﷺ علامات ومن لم يحققها فهو غير صادق في محبته :

أولاً : طاعته في ما أمر والانتهاء عما نهى عنه والسير وراءه في كل شيء .

فلا تتم المحبة إلا بالطاعة (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) .

ثانياً : أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى .

قال تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) ، فسلب الإيمان عمن وجد في صدره حرجاً من قضائه ولم يسلم له .

ثالثاً : كثرة ذكره .

فمن أحب شيئاً أكثر ذكره .

و لبعضهم : المحبة دوام ذكر المحبوب .

قال ابن القيم في الصلاة على النبي ﷺ : إنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها و تضاعفها ، و ذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه و معانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له و تزايد شوقه إليه و استولى على جميع قلبه .

وقد قال ﷺ (البخيل من ذكرت عنده ...) .

رابعاً :كثرة الشوق إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه .

أما في حياته ﷺ فمعروف وأما بعد موته فبأن يشتاق إلى لقائه في الآخرة و يشاهد ذاته الكريمة .

و قد نص النبي ﷺ على هذه العلامة فقال (من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله) .

وقال ﷺ (والذي نفس محمد بيده ليأتي على أحدكم يوم لأن يراني ثم لأن يراني معهم أحب إليه من أهله و ماله) .

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه العلامة أن الأشعريين عند قدومهم المدينة كانوا يرتجزون : غداً نلقى الأحبة ... محمداً و حزبه .

- **أمثلة تطبيقية لحب الصحابة للنبي ﷺ .**
  - لما أخرج المشركون (زيد بن الدثنة) من الحرم ليقتلوه ..... قال أبو سفيان – وهو يومئذ مشرك – قال لزيد : أنشدك بالله يا زيد : أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأنا جالس في أهلي ؟ فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .
  - وروي أن نسيْبة بنت كعب الأنصارية قتل أبوها وأخوها وزوجها في غزوة أحد،فقالت لما أخبرت بذلك :ما فعل رسول الله ﷺ [تسأل عن سلامته] قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين ! فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، أي كل مصيبة بعد سلامتك هينة .
  - أن عُرْوَةَ بن مسعود لما جاء يصالح النبي ﷺ (.....جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ . قَالَ فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ أَىْ قَوْمِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ ، يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً ، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ) . متفق عليه

أمثلة تطبيقية لمتابعة النبي ﷺ وطاعته :

  - عن ابن عمر . أن رسول الله ﷺ قال (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه) قال ابن عمر : ما مرّت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا ووصيتي عند رأسي) متفق عليه .

○ وعن عامر بن ربيعة . قال (رأيت عمر يقبّل الحجر الأسود ويقول : أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) متفق عليه .

٣- من فوائد الحديث أن الإيمان يزيد وينقص .

٤- وفيه وجوب معرفة الإيمان ومكملاته .

٥- جواز القسم من غير استحلاف .

٦- وفيه جواز القسم للأمر المهم .

٧- وفيه إثبات اليد لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تمثيل ولا تشبيه .

٩-باب حلاوة الإيمان

١٦-عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) .

[مسلم : ١٦٥] .

(**ثلاث**) أي ثلاث خصال .

(**من كنَّ فيه**) أي وُجدت فيه .

(**وجد بهنّ حلاوة الإيمان**) الحلاوة هنا : هي التي يعبر عنها بالذوق ، لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه ، وهو شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم .

قال النووي : معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات ، وتحمل المشاق ، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا ، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك الرسول ﷺ .

١- أن للإيمان حلاوة ، يستلذ الطاعة ويتحمل المشاق وينشرح صدره لكل قضاء من الله .

قال ابن تيمية : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .

وقال بعض العارفين : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقاتٌ يرقص فيها طرباً .

وقال آخر : إنه لتمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .

وكان بلال يصنع به الكفار أن يضعوه بالرمضاء تعذيباً له ومع ذلك يقول : أحد أحد .

وكذلك أيضاً عند موته : أهله يقولون : واكرباه ، وهو يقول :

غداً ألقى الأحِبَّهْ محمداً وصحْبَهْ

وذلك الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة، فرأى السارق حين أخذه، فلم يقطع لذلك صلاته، فقيل له في ذلك؟ فقال : ما كنت فيه أكبر من ذلك .

- ومن ذلك حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبي ﷺ في بعض مغازيه ليلة يحرسان جيش المسلمين ، فنام أحدهما وقام الآخر يصلي ، فإذا الجاسوس من قبل العدو ، وقد أقبل ، فرآهما ، فكبد الجاسوس القوس ، ورمى الصحابي فأصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ، ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطع لذلك صلاته ، ثم رماه ثالثة فأصابه ، فعند ذلك أيقظ صاحبه ،

وقال : لولا أني خفتُ على المسلمين ما قطعت صلاتي [**وهذا بسبب ما وجد فيها من الحلاوة ، حتى أذهبت عنه ما يجده من ألم السهام**] .

٢- ذكر الرسول ﷺ في هذا الحديث كيفية تحقيق حلاوة الإيمان :

الخصلة الأولى :

(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) .

المحبة هنا : محبة قلبية ، كما في حديث آخر : (أحبوا الله بكل قلوبكم) .

والمعنى : أنه يميل بكليته على الله وحده ، فيكون محبوبه ومعبوده دون من سواه ، وإنما يحب من سواه تبعاً لمحبته ، كما يحب الأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين ، لما كان يحبهم ربه سبحانه وتعالى .

ومن علامات محبة الله ورسوله :

أن يحب ما يحب الله ، ويكره ما يكره الله ، ويؤثر مرضاته على ما سواه ، ويسعى فيما يرضيه ما استطاع ، ويبعد عما حرمه ويكرهه أشد الكراهة ، ويتابع رسوله ﷺ ، ويتمثل أمره ونهيه ، كما قال : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) .

ومن لوازم محبة الله أيضاً : محبة أهل طاعته ، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده .

الخصلة الثانية :

(أن يحب المرء لا يحبه إلا لله) .

ثمرات وفضائل المحبة لله :

أولاً : أن المحبة لله سبب لمحبة الله للعبد .

قال عليه السلام : (قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ). رواه مالك

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى يظل المتحابين في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله : ... فذكر منهم : ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) . متفق عليه

ثالثاً : أن الحب في الله والبغض في الله دليل على كمال إيمان العبد .

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان).

رابعاً : أن الحب في الله سبب لحلاوة الإيمان وطعمه .

كما في حديث الباب ، وقال أيضاً ﷺ : (من أحب أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله) . رواه أحمد

خامساً : أن المرء بمحبته لأهل الخير لصلاحهم يلتحق بهم ويصل إلى مراتبهم وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم .

ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال : (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ قال : المرء مع من أحب) . متفق عليه

سادساً : أن الله يكرم من أحب عبداً في الله .

فعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : (ما أحب عبدٌ عبداً لله إلا أكرمه الله) . رواه ابن أبي الدنيا

سابعاً : أن المتحابين في الله لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء .

عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (قال الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء). رواه الترمذي وصححه

الخصلة الثالثة :

(أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) .

أي يستوي عنده الأمران : الإلقاء في النار ، والعودة في الكفر ، فمن كره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله فإن هذا من أسباب حلاوة الإيمان .

٣- من فوائد الحديث : إثبات حلاوة الإيمان وأنها لا تتحق لكل مؤمن .

٤- أن من اتصف بهذه الصفات أفضل ممن لم يتصف بها .

٥- أن الإيمان يزيد وينقص .

٦- الرد على ما يظنه بعض الناس من أنه من وُلِدَ على الإسلام أفضل ممن كان كافراً فأسلم .

قال شيخ الإسلام في الفتاوى : وما يظنه بعض الناس من أنه من وُلِدَ على الإسلام فلم يكفر قط ، أفضل ممن كان كافراً فأسلم ليس بصواب ، بل الاعتبار بالعاقبة وأيهما كان أتقى له في عاقبته كان أفضل .

٧- وجوب كراهية الكفر وأهله .

٨- أهمية أعمال القلوب وأنها مما ينبغي الاهتمام بها .

٩- من لوازم هذه المحبة نصرة الدين وحفظ الشرع وحفظ السنة .

١٠- الحذر عن المعوقات عن ما يشغل عن الله ورسوله .

١١- أهمية عقيدة الولاء والبراء .

١٢- الحذر والخوف من الشرك .

١٣- فضل المحبة في الله ، وأن تكون خالصة لوجه تعالى .

١٤- أن فقد الكثير من الناس لحلاوة الإيمان لأنه أصبح حبهم من أجل الأغراض الدنيوية .

فإن من أحب غيره للأغراض الدنيوية انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض ، أو يئس من حصوله .

وعن ابن عباس قال (من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه ، حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً). رواه ابن جرير وابن المبارك (٣٥٣) .

هذا الكلام قاله ابن عباس في أهل زمانه، فكيف لو رأى الناس فيما هم فيه من المؤاخاة على الكفر والبدع والفسوق والعصيان، ولكن هذا مصداق لقوله ﷺ : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء) . رواه مسلم

- وفيه الإشارة إلى أن الأمر قد تغير في زمن ابن عباس بحيث صار الأمر إلى هذا بالنسبة إلى ما كان في زمن الخلفاء الراشدين فضلاً عن زمن الرسول ﷺ .

وقد كان الصحابة ﷺ في عهد نبيهم عليه السلام وعهد أبي بكر وعمر يؤثر بعضهم على نفسه محبةً في الله وتقرباً إليه ، كما قال تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

١٠- باب : علامة الإيمان حب الأنصار

١٧-عن أنس . عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ) .

[م / ٧٤] .

(**آية**) علامة .

(**بغض**) كراهية .

(**الأنصار**) المراد بهم أنصار رسول الله ﷺ ، والمراد الأوس والخزرج ، وهو اسم إسلامي سماهم به رسول الله ﷺ .

١- الحديث دليل على أن حب الأنصار من علامات الإيمان .

قال الحافظ ابن حجر : وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه ، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم ، فكان صنيعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم ، والعداوة تجر البغض ، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد ، والحسد يجر البغض ، فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق .

٢- فضيلة ظاهرة للأنصار ، ولهم فضائل كثيرة :

أولاً : حبهم إيمان وبغضهم نفاق .

لحديث الباب .

ثانياً : من أسباب محبة الله .

لحديث الْبَرَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الأَنْصَارِ (لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) متفق عليه .

ثالثاً : أن الله أثنى عليهم في القرآن .

قال تعالى (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

وقال تعالى (لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) .

وقال تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

رابعاً : تمنى أن يكون منهم .

قال ﷺ (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار) متفق عليه .

خامساً : دعاء الرسول ﷺ لهم .

قال ﷺ (اللهم اغفر للأنصار ....) متفق عليه .

سادساً : هم من أحب الناس لرسول ﷺ .

عن أنس قال (جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال : والذي نفسي بيده ، إنكم أحب الناس إليّ) رواه البخاري .

سابعاً : أوصى الرسول ﷺ بهم .

قال ﷺ (أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبي وقد قضوا ما عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) رواه البخاري .

٣- ينبغي حب الأنصار من أجل نصرتهم للرسول ﷺ ولذلك جاء عند أبي نعيم في المستخرج من حديث البراء بن عازب (من أحب الأنصار فبحبي أحبهم ، ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم) .

٥- الرد على الرافضة – لعنهم الله – في تكفيرهم ولعنهم للصحابة فهم منافقون قبحهم الله .

قال العلماء : سب الصحابة أو تكفيرهم يستلزم أموراً خطيرة :

أولاً : الطعن في الصحابة ، وهذا واضح .

ثانياً : يلزم من هذا أمر من أمرين ، إما نسبة الجهل إلى الله – تعالى عما يصفون – أو العبث في هذه النصوص التي أثني بها على الصحابة .

فإن كان الله – تعالى عن قولهم – غير عالم بأنهم سيكفرون ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم بالحسنى فهو جهل ، والجهل عليه تعالى محال ، وإن كان الله عالماً بأنهم سيكفرون فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث ، والعبث في حقه محال .

ثالثاً : الطعن في حكمة الله سبحانه وتعالى حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ فجاهدوا معه وآزروه ونصروهم واتخذهم أصهاراً ، حيث زوج ابنتيه ذا النورين (عثمان) ، وتزوج ابنتي أبي بكر وعمر ، فكيف يختار لنبيه أنصاراً وأصهاراً مع علمه بأنهم سيكفرون ؟؟

رابعاً : يستلزم ذلك الطعن في القرآن وفي الشريعة ، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول ، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون والعياذ بالله .

٤- وجوب حب الصحابة .

٥- أن بغض الأنصار – بعد ما عرفت نصرتهم للرسول – نفاق ودليل على خبث القلب .

٦- أهمية عمل القلب من حب وبغض .

٧- وجوب حب الرسول وحب من يحب الرسول ﷺ وينصره .

٨- وجوب بغض كل من أبغض الرسول ﷺ أو نصره .

٩- مدح النبي ﷺ للأنصار لأمرين :

الأمر الأول : لمعرفة فضلهم .

الثاني : الاقتداء بهم في نصرة الرسول ﷺ .

١٠- إثبات الولاء والبراء .

١١- إثبات صفة المحبة لله تعالى وأن الله تعالى يحب ويحب .

١٢- إثبات البغض لله تعالى إثباتاً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه .

١٣- حب الأنصار من أسباب محبة الله .

١٤- الرد على الروافض وخبث مذهبهم في بغض الصحابة .

١٥- الرد على الخوارج .

١١- باب

١٨-**عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ وَكَانَ شَهِدَ بَدْراً ، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ – (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً ، وَلاَ تَسْرِقُوا ، وَلاَ تَزْنُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ) فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ) .**

[م : ١٧٠٩] .

(**وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ**) العِصابة بكسر العين الجماعة من العشرة إلى الأربعين .

(**بَايِعُونِي**) المبايعة المعاهدة ، سميت بذلك تشبيهاً لها بالمعاوضة المالية .

(**وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ**) قال محمد بن إسماعيل التيمي وغيره : خص القتل بالأولاد لأنه قتل، وقطيعة رحم، فالعناية به آكد ، ولأنه كان شائعاً فيهم ، وهو وأد البنات ، وقتل البنين خشية الإملاق .

(**وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ**) بكذب على أحد ، فالبهتان هو الكذب الذي يبهت سامعه .

(**تَفْتَرُونَهُ**) تختلقونه .

(**بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ**) خص الأيدي والأرجل بالافتراء ، لأن معظم الأفعال تقع بهما .

(**وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ**) فإن قيل : إن أمره ﷺ كله معروف ، ولا يُتصور منه خلاف ذلك ؟ قيل : المراد منه التنبيه على علة وجوب الطاعة ، وعلى أنه لا طاعة لمخلوق في غير المعروف ، وقال النووي : ويحتمل أن يكون المعنى : ولا تعصوني ولا أحد أولي الأمر عليكم في المعروف ، فيكون التقييد بالمعروف متعلقاً بشيء بعده .

(**فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ**) أي : من ثبت على العهد .

(**فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**) أطلق هذا على سبيل التفخيم .

(**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً**) أي : مما سوى الشرك ، إذ لا كفارة للشرك سوى التوبة عنه ، فهو عام مخصوص .

(**فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا**) أي : بسبب ما أصابه من المخالفة .

(**فَهُوَ**) أي : العقاب .

(**كَفَّارَةٌ لَهُ**) عن ذنبه .

(**وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ**) ولم يظهره .

(**فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**) يشمل من تاب من ذلك ، ومن لم يتب ، وبه قال طائفة ، وذهب الجمهور إلى أن من تاب لا يبقى عليه مؤاخذة .

١- الحديث دليل على أن الحدود كفارات ، واختلف العلماء في الحدود: هل هي جوابر وكفارات لمن أقيمت عليه أم هي مجرد زواجر عن ارتكاب الحدود وليست كفارات؟

القول الأول : أن الحدود جوابر وكفارات، وهذا قول أكثر أهل العلم ، ولو لم يتب المحدود .

قال القاضي عياض : أكثر العلماء ذهبوا إلى أن الحدود كفارة .

وبذلك ترجم البخاري في الصحيح فقال : باب الحدود كفارة .

دليل هذا القول : حديث الباب .

قال ابن رجب الحنبلي : وهذا صريح في أن إقامة الحدود كفارات لأهلها .

القول الثاني: وذهب بعض العلماء إلى أن الحدود ليست جوابر وكفارات بل هي للزجر عن الوقوع فيما أوجب الحد .

وهو قول بعض التابعين ورجحه ابن حزم وطائفة من متأخري المفسرين كالبغوي .

ودليل هذا القول : قوله تعالى في آخر آية الحرابة (ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فأخبر سبحانه أن جزاءَ فعلهم عقوبةٌ دنيوية وعقوبة أخروية إلا من تاب فإنها تسقط عنه العقوبة الأخروية .

وتوقَّف بعض العلماء في المسألة فقالوا: لا يقال في الحدود: إنها كفارات، ولا يقال: إنها غير كفارات .

واستدلوا: بحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال (لا أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا) .

والراجح في المسألة هو القول الأول الذي قال به الجمهور، وذلك لما يلي:

أولاً : أن حديث عبادة أصحُّ إسناداً بل هو متفق عليه .

ثانياً : أن فيه التصريح في المسألة وقد ترجم عليه البخاري بذلك .

ثالثاً : أن الآية التي احتجَّ بها أهل القول الثاني مختلف في المراد منها: هل هي في الكفار أو في محاربي الإسلام؟

رابعاً : أنه على فرض التعارض فيجاب بأن ذكر عقوبة الدنيا والآخرة لا يلزم اجتماعهما، فقد دلَّ الدليل على أن عقوبة الدنيا تُسقط عقوبة الآخرة .

خامساً : أن حديث أبي هريرة لا يعارض حديث عبادة لاحتمال أن يكون النبي ﷺ قال ذلك قبل أن يعلمه ثم علمه فأخبر به جزماً، وبهذا جمع القاضي عياض وتبعه ابن رجب الحنبلي وابن حجر العسقلاني .

٢- مشروعية المبايعة على الأمور المذكورة في الحديث .

٣- تحريم الشرك وعظم أمره .

٤- أن أول الواجبات التوحيد وتحريم الشرك .

٥- تحريم السرقة والزنا .

٦- وجوب الوفاء بالعهد .

٧- شفقته ﷺ على أمته .

٨- أن فاعل الكبيرة لا يكفر ، ففيه الرد على الخوارج .

٩- أن الحدود كفارات لأهلها كما تقدم .

١٠- أن المصائب مكفرة للذنوب .

١٢-باب من الدين الفرار من الفتن

١٩-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ) .

(**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ**) هو أبو سعيد ، سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي ، غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة ، أولها غزوة الخندق ، وكان قبلها صغيراً ، حفظ عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، فكان من علماء الأنصار وفضلائهم ، توفي سنة (٧٤) هـ ودفن بالبقيع ، كان من المكثرين روى : ١١٧٠ حديثاً ، له في البخاري (٦٢) .

(**يوشك**) أي يقرب .

(**غنم**) إن قيل : لماذا قيد المال بالغنم ؟ الجواب : بأن هذا النوع من المال ، نموه وزيادته أبعد من الشوائب المحرمة كالربا والشبهات المكروهة ، وخصت الغنم بذلك لما فيها من السكينة والبركة ، وقد رعاها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مع أنها سهلة الانقياد ، خفيفة المؤنة ، كثيرة النفع .

(**شعف الجبال**) أي : رؤوس الجبال ، وشَعَفة كل شيء أعلاه .

(**مواقع القطر**) أي : موضع نزول المطر ، كبطون الأودية ، وخصها بالذكر لأنها مكان الرعي .

فإن قيل : لماذا قيد الاتباع بشعف الجبال ، ومواقع القطر ؟ الجواب : بأنها أسلم غالباً من المعادات المؤدية إلى الكدورات .

(**يفر بدينه**) أي بسبب دينه خوفاً على دينه وطلباً لسلامة رأس ماله (لأن الدين هو رأس المال) ، وقيل : للمصاحبة كما في قوله تعالى (اهبط بسلام منا) أي يفر مصحباً دينه .

(**من الفتن**) أي الفرار سببه ومنشأه الفتن . لا لغرض دنيوي ، والفتن جمع فتنة والأصل فيها الاختبار والابتلاء .

١- أن فرار الإنسان بدينه من الفتن من الإيمان .

وقد مدح الله من فر بدينه :

قال تعالى (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) .

وقال تعالى (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً) .

وقال ﷺ (من سمع بالدجال فلينأ عنه) رواه أبو داود .

٢- أن أعظم ما يُحافظ عليه هو الدين .

٣- إثبات الفتن وكثرتها وقدومها ، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك :

فقال ﷺ (بادروا بالأعمال الصالحة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا) رواه مسلم .

وعن أسامة بن زيد قال (أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة ، فقال : هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر) رواه البخاري .

أشرف : نظر وطلع . الأُطم : حصن مبني بالحجارة .

وقال ﷺ (ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرّف لها تستشْرفهُ ، ومن وجد فيها ملجأً فليَعُذْ به) رواه مسلم .

وقال ﷺ (إنها ستكون فتن) رواه مسلم .

وقال ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يقبض وتظهر الفتن) رواه البخاري .

٤- أهمية الهجرة في سبيل الله ولو كان فيها مشقة .

٥- فضل العزلة إذا خاف الإنسان على دينه .

قال ابن رجب: فإن من خالط الفتن وأهل القتال على الملك، لم يسلم دينه من الإثم، إما بقتل معصوم ، أو أخذ مال معصوم، أو المساعدة على ذلك ، ونحوه، وكذلك لو غلب على الناس من يدعوهم إلى الدخول في كفر أو معصية حسُنَ الفرار منه .

وقال الخطابي : لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته لكان ذلك خيراً كثيراً .

٦- قوله ﷺ (يوشك ..) تقريب للفتنة، قال ابن رجب: وقد وقع ذلك في زمن عثمان، كما أخبر به ﷺ ، وهذا من جملة أعلام نبوته ﷺ، وقد اعتزل جماعة من الصحابة كسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، فإنهما لزما منزلهما بالعقيق حتى لحقا بالله.

٧- وجوب الاستعداد للفتن بما يعصم منها ، فإن النبي ﷺ أخبر بذلك ولا بد من وقوعه .

٨- استدل بحديث الباب من قال بفضل العزلة على الاختلاط بالناس ، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة :

القول الأول : العزلة أفضل واستدلوا :

بحديث الباب .

وبحديث أبي سعيد قال (قيل : يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ فقال : مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، قالوا : ثم من؟ قال : مؤمن في شعبٍ من الشعاب يتقي الله ويدعُ الناس من شره) متفق عليه .

القول الثاني : الخلطة أفضل إذا أمن على دينه .

ونسبه الحافظ ابن حجر للجمهور .

لحديث ابن عمر . قال : قال ﷺ (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) رواه ابن ماجه .

ولأن ذلك هو فعل الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ومن بعدهم من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم .

قال الحافظ ابن حجر : قال الجمهور الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك .

وقال النووي: مذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن، وأجابوا عن هذا الحديث [مؤمن في شعبٍ من الشعاب يتقي الله ويدعُ الناس من شره] بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب ، أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ، **وهذا هو الراجح** .

- وفي هذا الزمن كثرت الفتن وتنوعت وقل الحياء وكثرت المجالس التي يجتمع فيها الناس على الملاهي والأغاني والمجون وغيرها ، فالأولى للمسلم أن يعتزلها حتى لا يفتن بها ، كما فتن الكثير ، وأيضاً يسلم من الغيبة والنميمة وغيرها من الكلام الذي لا فائدة منه . والله المستعان .

كان داود الطائي من كبار أئمة الفقه والرأي ، برع في العلم ثم أقبل على شأنه ولزم الصمت وآثر الخمول وفر بدينه .

كان الثوري يعظمه ويقول : أبصر داود أمره .

قال عبد الله بن داود : من أمكن الناس من كل ما يريدون أضروا بدينه ودنياه .

وقال أحمد بن حنبل : أشتهي ما لا يكون ، أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس .

وقال سعيد بن الحداد : لا تعدلن بالوحدة شيئاً ، فقد صار الناس ذئاباً .

وقال سفيان الثوري : كان طاووس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك ، فقال : حيف الأئمة ، وفساد الناس .

وعن عبد الله – بن أحمد بن حنبل – قال: كان أبي أصبر الناس على الوحدة ، لم يره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة، أو عيادة مريض ، وكان يكره المشي في الأسواق .

٩- قوله (غنم يتبع بها ..) هذا بناء على الأغلب ، وإلا لو جلس في بيته لكان مصيباً ، بدليل حديث حذيفة في الفتن (قال ﷺ : تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم ، قلت : إن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال : تجلس في بيتك ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) .

١٠- قوله (غنم ...) خص بالذكر لأمور : لأنها أقل تكلفةً من غيرها – ولما فيها من البركة – ولأنها أهدأ من غيرها فلا تتعب – ولتيسر الحصول عليها .

١١- الحكمة من الفتن : فهي اختبار للإيمان – واختبار للبصيرة ، واختبار للتقوى ، واختبار للعلم .

١٢- مشروعية فعل الأسباب .

١٣- جواز ادخار المال وقد قال ﷺ (نِعم المال الصالح للرجل الصالح) رواه أحمد .

١٤- اتخاذ المال وخاصة الغنم لبركتها كما في الحديث .

١٥- الإشارة إلى الفتن في آخر الزمان .

١٣-باب قول النبي ﷺ (أنا أعلمكم بالله)

٢٠-عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ قَالُوا إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ (إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا) .

(**إِذَا أَمَرَهُمْ أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ**) أي : كان إذا أمرهم أمرهم بما يسهل عليهم دون ما يشق خشية أن يعجزوا عن الدوام عليه .

(**قَالُوا إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ**) أي : ليس حالنا كحالك .

(**فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ**) أي : يظهر .

(**الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ**) أي : أثره في وجهه ﷺ .

١- الإشارة إلى أن النبي ﷺ قد بلغ من الكمال الذروة في جميع الصفات العلمية والعملية ، وقد أشار إلى الأول بقوله (أعلمكم) وإلى الثاني بقوله (أتقاكم) .

٢- أن الأعمال الصالحة ترقي صاحبها إلى المراتب السنية من رفع الدرجات ومحو الخطيئات ، لأنه ﷺ لم ينكر عليهم استدلالهم ولا تعليلهم من هذه الجهة ، بل من الجهة الأخرى .

٣- أن العبد إذا بلغ الغاية في العبادة وثمراتها كان ذلك أدعى إلى المواظبة عليها ، استبقاء للنعمة ، واستزادة لها بالشكر عليها .

٤- الوقوف عند ما حد الشارع من عزيمة ورخصة ، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له .

٥- أن الأولى في العبادة القصد والملازمة ، لا المبالغة المفضية إلى الترك ، كما جاء في الحديث (المنبت – أي المجد في السير – لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) .

قال الزهري : من طلب العلم جملة فاته جملة ، وإنما يدرك العلم حديثاً وحديثين .

وقال : إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة له غلبك، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به .

٦- مشروعية الغضب عند مخالفة الأمر الشرعي .

٧- جواز تحدث المرء بما فيه فضل بحسب الحاجة لذلك عند الأمن من المباهاة والتعاظم .

٨- أن الإسلام دين يسر وسهولة (وسيأتي مزيد عند حديث : إن الدين يسر إن شاء الله) .

٩- عبودية النبي ﷺ لربه .

١٠- وفيه النهي عن الغلو والابتداع فيه .

١١- تفاوت الناس في الأعمال والعلم بالله .

١٢- أن العمل لابد له من شرط المتابعة مع الإخلاص .

١٥- باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال

٢٢-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ . فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا - أَوِ الْحَيَاةِ، شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً) .

[م : ١٨٣ مطولاً] .

(**أَخْرِجُوا**) أي : من النار .

(**مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**) أي : أخرجوا من النار كل من عمل مقدار حبة خردل من أعمال الإيمان بعد التوحيد والتصديق بما جاء به نبينا ﷺ .

(**وقد امتحشوا**) أي : احترقوا .

(**ماء الحياة**) أي : الماء الذي من يشربه أو يتطهر به لم يمت أبداً .

(**كما تنبت الحِبة**) بكسر الحاء بذور البقول والعشب .

(**أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**) أي: ألا ترى كيف تخرج من الأرض عند بدايتها صفراء اللون جميلة المنظر منعطفة الأوراق، ثم تتمدد وتنفتح أوراقها بعد ذلك ، وهذا مما يزيد الرياحين حسناً .

١- الحديث دليل على أن الموحدين لا يخلدون في النار .

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ (يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان) متفق عليه .

وعن أبي سعيد . قال : قال رسول الله ﷺ (يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيُخرجون.. حديث الباب) .

٢- الرد على الخوارج والمعتزلة ، الذين يقولون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار .

الحديث رد على المرجئة الذين يقولون أن المعاصي لا تؤثر وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، حيث صرح في الحديث أن العصاة يدخلون النار حتى تسود وجوههم .

٣- الحديث دليل على تفاضل أهل الإيمان في درجات إيمانهم ، وذلك بسبب تفاضل أعمالهم .

٤- الحديث دليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص .

٥- الحديث دليل على فضل التوحيد ، وأن الموحد لا يخلد في النار .

٦- إثبات الشفاعة في أهل الكبائر ، لأنهم يخرجون في الشفاعة .

٧- خطر الشرك ، وأن من مات مشركاً فإنه لا يخرج من الجنة .

٢٣-عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِي قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ ، وَمِنْهَا مَا [يبلغ] دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ ، قَالُوا فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : الدِّينَ) .

[م / ٢٣٩٠] .

(**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ**) هو من الرؤية البصرية ، ويجوز أن يكون من الرؤية العلمية .

(**يُعْرَضُونَ عَلَيَّ**) أي : يُظهرون لي ، قال ابن أبي جمرة : المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون ، لتأويله القميص بالدين ، قال: والذي يظهر أن المراد خصوص هذه الأمة المحمدية ، بل بعضها ، والمراد بالدين العمل بمقتضاه ، كالحرص على امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، وكان لعمر في ذلك المقام العالي . [الفتح]

(**وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ**) القميص الثياب التي تلبس على البدن .

(**مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ**) بضم الثاء وكسر الدال وتشديد الياء ، والمعنى : أن القميص قصير جداً ، بحيث لا يصل إلى الحلق إلى نحو السرة بل فوقها .

(**وَمِنْهَا**) أي : ومن القمص .

(**مَا [يبلغ] دُونَ ذَلِكَ**) يحتمل : أن يريد دونه من جهة السفل ، وهو الظاهر ، فيكون أطول ، ويحتمل أن يريد دونه من جهة العلو ، فيكون أقصر ، ويؤيد الأول ما في رواية الترمذي الحكيم من طريق أخرى عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري في هذا الحديث (فمنهم من كان قميصه إلى سرته ، ومنهم من كان قميصه إلى ركبته ، ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه) [الفتح] .

(**وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ ، قَالُوا**) أي : الصحابة الحاضرون عنده ﷺ .

(**فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ**) أي : ما عبرت ذلك وفسرته يا رسول الله .

(**قَالَ : الدِّينَ**) أي : أولته الدين ، يعني الإيمان .

١- الحديث دليل على تفاضل أهل الإيمان فيه ، بالقوة والكثرة والضعف ، ووجه الاستدلال : أنه ﷺ أري الناس وعليهم قمص مختلفة المقدار بالطول والقصر ، وأوّل ذلك على تفاوتهم في الدين ، والدين والإيمان والإسلام بمعنى ، كما قال ﷺ (هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم) .

قال ابن رجب : هذا الحديث نص على أن الدين يتفاضل .

٢- الحديث دليل على فضيلة عمر وقوة إيمانه .

٣- فيه وجه تعبير القميص بالدين ، أن القميص يستر العورة في الدنيا ، والدين يسترها في الآخرة ، ويحجبها عن كل مكروه ، والأصل فيه قوله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) ، والعرب تكني عن الفضل والعفاف بالقميص ، ومنه قوله ﷺ لعثمان (إن الله سيُلبسك قميصاً ، فإن أرادوا أن تخلعه فلا تخلعه) أخرجه أحمد والترمذي ، فعبر عن الخلافة بالقميص ، وهي استعارة حسنة معروفة ، واتفق أهل التعبير على أن القميص يُعبّر بالدين ، وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده .

وقال ابن رجب: وإنما فسّر القمص في المنام بالدين، لأن الدين والإسلام والتقوى كلّ هذه توصف بأنها لباس، قال تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) وقال أبو الدرداء : الإيمان كالقميص يلبسه الإنسان تارة ، وينزعه أخرى .

٤- قال في الفتح: أن هذا من أمثلة ما يُحمد في المنام، ويُذم في اليقظة شرعاً، أعني جر القميص ، لما ثبت من الوعيد في تطويله .

٥- مشروعية تعبير الرؤيا ، وسؤال العالم بها عن تعبيرها ولو كان هو الرائي .

٦- الحديث دليل على الثناء على الفاضل بما فيه ، لإظهار منزلته عند السامعين ، ولا يخفى أن محل ذلك إذا أمنَ عليه من الفتنة بالمدح كالإعجاب .

٧- إشكال : هل هذا الحديث يستلزم بأن يكون عمر أفضل من أبي بكر ؟

قال الشيخ ابن عثيمين : أن من أكرم بخصيصة أو نال فضلاً بخصيصة لا يلزم من ذلك أن ينال الفضل المطلق، فإنه لا شك أن أبا بكر أوفى ديناً من عمر بن الخطاب وأفضل .

وقيل : يحتمل أن أبا بكر لم يعرض في أولئك الناس .

ويحتمل أن يكون سر السكوت عن ذكره الاكتفاء بما عُلم من أفضليته .

ويحتمل أن يكون وقع ذكره ، فذهل عنه الراوي ، وعلى التنزل بأن الأصل عدم جميع هذه الاحتمالات ، فهو مُعارض بالأحاديث الدالة على أفضلية الصديق ، فقد تواترت تواتراً معنوياً فهي المعتمدة ، وأقوى هذه الاحتمالات أن لا يكون أبو بكر عرض مع المذكورين . [الفتح] .

١٦-باب الحياء من الإيمان

٢٤- عَنْ ابن عمر . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ [وفي رواية يعاتب] أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ [يقول : إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضر بك] ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ) .

[م / ٣٦] .

(**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ**) أي : اجتاز ، قال الحافظ : ولم أعرف اسم هذين الرجلين : الواعظ وأخيه .

(**وَهُوَ يَعِظُ أخاه في الحياء**) أي بسبب الحياء [في سببية] فكأن الرجل كان كثير الحياء ، فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه ، قال النووي : أي ينهاه عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته فنهاه النبي ﷺ عن ذلك . وقد جاء في رواية للبخاري : [يقول له : إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضر بك] .

(**دَعْهُ**) أي : اتركه على هذا الخلق السّني ، ثم علل أمره بالترك بقوله :

(**فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**) لأنه يمنع من فعل القبيح وما لا يليق .

١- الحديث دليل على أن الحياء من الإيمان ، والحياء من أعمال القلب ، ففيه أن أعمال القلب داخلة في مسمى الإيمان .

والمراد بالحياء هنا : الحياء المحمود الذي يمنع من فعل القبيح ويحث على فعل الجميل .

٢- الحديث رد على المرجئة الذين يقولون : إن الإيمان مجرد التصديق وإن أعمال القلوب وأعمال الجوارح لا تدخل في الإيمان .

٣- الحديث دليل على فضل الحياء [وقد سبقت مباحثه] .

قال ابن رجب : والحياء نوعان :

أحدهما : غريزي، وهو خلقٌ يمنحه الله تعالى العبد ، ويجبله عليه، فيكفه عن ارتكاب القبائح والرذائل، ويحثه على فعل الجميل، وهو من أعلى مواهب الله تعالى للعبد ، فهذا من الإيمان باعتبار أنه يؤثر ما يؤثره الإيمان من فعل الجميل ، والكف عن القبيح ، وربما ارتقى صاحبه بعده إلى درجة الإيمان ، فهو وسيلة إليه ، كما قال عمر : من استحيي اختفى ، ومن اختفى اتقى ، ومن اتقى وقيَ ، وقال بعض التابعين : تركت الذنوب حياء أربعين سنة ، ثم أدركني الورع ، وقال ابن سمعون : رأيت المعاصي نذالة ، فتركتها مروءة فاستحالت ديانة .

والنوع الثاني : أن يكون مكتسباً ... إلى أن قال : وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة النعم ، فيستحيي العبد من الله أن يستعين بنعمته على معاصيه ، فهذا كله من أعلى خصال الإيمان .

٤- الحديث دليل على أن العالم ينبغي له أن يوجه من يراه ينصح أو يفتي خطأ أو جهلاً ، فإن النبي ﷺ قال لهذا الرجل الذي ينصح أخاه : قال له دعه فإن الحياء من الإيمان ، فإن الظاهر أن هذا الرجل لا يعرف أن الحياء من الإيمان .

٥- الحديث دليل على مراقبة العالم لطلابه .

٦- الحديث دليل على إرشاد العالم لأتباعه فيما ينفعهم .

٧- في الحديث أن الإنسان قبل أن ينصح ينبغي أن يعرف هذا الشيء حتى لا يخطئ .

٨- أن من رأى غيره على خلق حسن ينبغي أن يثبته .

١٧-باب : (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) .

٢٥-عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ).

[مسلم / ٢٢] .

(**أمرت**) أمرني الله .

(**الناس**) عبدة الأوثان والمشركين .

(**حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ**) جُعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر ، فمقتضاه أن من شهد وأقام وآتى عصم دمه ولو جحد باقي الأحكام ؟ والجواب : أن الشهادة بالرسالة تتضمن التصديق بما جاء به ، مع أن نص الحديث (إلا بحق الإسلام) يدخل فيه جميع ذلك .

(**وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ**) أي : يؤدوها بخشوعها وأركانها وسننها .

(**ويؤتوا الزكاة**) يدفعوها إلى مستحقيها .

(**فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ**) أي : ما ذكِر من الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

(**عصموا**) حفظوا ومنعوا .

(**إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ**) وفي رواية (إلا بحقها) أي : بحق الدماء والأموال ، وأراد بحق الدماء ما جاء في حديث ابن مسعود قال : قال ﷺ (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ...) ، وبحق الأموال الزكاة ونحوها من الحقوق المتعلقة بها .

(**وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**) أي : يعاملون بالظاهر وأما الباطن فإلى الله ، قال ابن رجب : يعني أن الشهادتين مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا ، إلا أن يأتي ما يبيح دمه ، وأما في الآخرة فحسابه على الله ، فإن كان صادقاً أدخله الله الجنة ، وإن كان كاذباً فإنه من جملة المنافقين .

١- في هذا الحديث ذكر النبي ﷺ أمران :

الأول : ما يثبت به الإسلام ، وهو الشهادتان ، فمن جاء بهما ثبت له عقد الإسلام وصار مسلماً معصوم الدم والمال .

والثاني : ما يبقى به الإسلام وأعظمه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

فليس معنى الحديث أن العبد يُقاتَل حتى يأتي بالشهادتين ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، وأنه لا يكف عنه إلا بعد اجتماعها ، وذلك لأن دلائل الوحيين ظاهرة في الاكتفاء بالشهادتين لعصمة الدم والمال ، ولكنه إذا جاء بهما عصمته حالاً ثم لزمه ما بقي وراء الشهادتين من أحكام الدين المعظمة .

فالاقتصار على النطق بالشهادتين كافٍ لعصمة النفس والمال ..

والنبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الإسلام الشهادتين فقط ، ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلماً ، ويؤيد هذا أحاديث قولية صحيحة لم يذكر فيها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة :

ففي الصحيحين عن أبي هريرة . أن النبي ﷺ قال (أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله) .

وفي رواية لمسلم (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به) .

وروى مسلم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يُعبدُ من دون الله ، حرم الله دمه وماله وحسابه على الله) .

وأنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد قتله لمن قال : لا إله إلا الله ، واشتد نكيره عليه .

٢-قوله ﷺ (فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ...) أي : صارت دماؤهم وأموالهم حراماً غير حلال لما علِم من ظاهرهِم دون اعتداد بباطنهم .

وهذه العصمة نوعان :

أحدهما : عصمة الحال .

ويُكتفَى فيها بالشهادتين ، فمن أقر بالشهادتين عُصِم دمه وماله حالاً .

والثاني : عصمة المآل .

ولا يكتفَى فيها بالشهادتين ، بل لابد من الإتيان بحقوقهِما من أركان الإسلام وغير ذلك من الشرائع ، وعندئذ يُحكم ببقاء إسلامه وامتداد ما ثبت له من العصمة ابتداءً .

٣- الحديث دليل على وجوب مقاتلة الكفار (مع القدرة) حتى يسلموا وينطقوا بالشهادتين ، وحتى لا يبقى شرك .

قال تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) (لا تكون فتنة) أي لا يبقى شرك ، لأن الدين لا يكون كله لله ما دام في الأرض مشرك .

ولقوله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ...) .

٤- المراد بقوله (أمرت أن أقاتل الناس) ما عدا أهل الكتاب ، لأن هؤلاء تؤخذ منهم الجزية ، وأما غيرهم فيقاتلون إذا لم يسلموا (وهذا مذهب كثير من العلماء) .

٥-الحديث دليل على أن أول واجب على المكلف هو النطق بالشهادتين لا النظر والاستدلال .

وقد قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) .

٦- عظم التوحيد وأنه سبب لحقن الدم .

٧- فضل الجهاد في سبيل الله وقتال الكفار ، وأنه ينقسم إلى قسمين :

قسم طلب ، وقسم دفاع .

٨- أن الأحكام تجري على الظاهر والله يتولى السرائر لقوله ﷺ (وحسابهم على الله) فمن أظهر لنا الإسلام وقام بما يجب عليه عصم دمه وماله وعومل معاملة المسلمين .

٩- قوله (إلا بحقها) كأن يرتكب ما يبيح دم المسلم : كالقتل – أو الزنا للمحصن – أو الردة .

لقوله ﷺ (لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) متفق عليه .

١٠- أهمية الصلاة وأنها تأتي بالمرتبة الثانية بعد الشهادتين .

١١- أهمية الزكاة ، وأنها تأتي بالمرتبة الثالثة بعد الصلاة .

١٢- إثبات الحساب والجزاء يوم القيامة .

فائدة : كثيراً ما يقرن الله تبارك وتعالى بين الصلاة والزكاة :

فقيل : إن الصلاة حق الله وعبادته وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه وتمجيده ، والإنفاق هو من الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم ، **وسعادة العبد دائرة بين الأمرين : إخلاصه لمعبوده ، وسعيه في نفع الخلق .**

وقيل : الصلاة رأس العبادات البدنية ، والزكاة رأس العبادات المالية .

وقيل : الصلاة طهارة للنفس والبدن ، والزكاة طهارة للمال .

١٨-باب من قال إن الإيمان هو العمل

لقول الله تعالى (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

٢٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ فَقَالَ « إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » . قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « حَجٌّ مَبْرُورٌ) .

[م / ٨٣] .

(**باب من قال إن الإيمان هو العمل**) قال العيني : وهذا الباب أيضا معقود لبيان أن الإيمان هو العمل ردا عليهم وقال الشيخ قطب الدين في شرحه في هذا الباب إنما أراد البخاري الرد على المرجئة في قولهم إن الإيمان قول بلا عمل وقال القاضي عياض عن غلاتهم إنهم يقولون إن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقده بقلبه الثالث وجه مطابقة الآية للترجمة هو أن الإيمان لما كان هو السبب لدخول العبد الجنة والله عز وجل أخبر بأن الجنة هي التي أورثوها بأعمالهم حيث قال (بما كنتم تعملون) دل ذلك على أن الإيمان هو العمل وفي الآية الأخرى أطلق على قول لا إله إلا الله العمل فدل على أن الإيمان هو العمل .

(**سئل رسول الله ﷺ**) أبهم السائل .

(**الجهاد في سبيل الله**) هو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله .

(**حج مبرور**) الحج المبرور ما كان خالصاً لله ولم يخالطه إثم ولا رياء .

١- أن الإيمان بالله أفضل الأعمال . (وهو يتضمن : النطق باللسان والعمل بالجوارح والاعتقاد بالجنان) .

ولهذا أمر الله به فقال تعالى (آمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ) .

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ...) .

وقال تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ ...) .

٢- أن الإيمان قول وعمل .

٣- فضل الجهاد في سبيل الله ، وأنه أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله . **ومن فضائله** :

أولاً : أن الروحة في سبيل الله خير من الدنيا بما فيها .

لحديث (لغدوة في سبيل الله أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه .

ثانياً : أنه من أفضل الأعمال .

عن أبي ذر قال : (قلت يا رسول الله ، أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله ، والجهاد في سبيل الله) . متفق عليه

ثالثاً : أن المجاهد أفضل الناس .

عن أبي سعيد الخدري قال: (أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله). متفق عليه

رابعاً : الجهاد لا يعدله شيء .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قيل : يا رسول الله ، ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ، ثم قال : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم ، القانت بآيات الله ، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) . متفق عليه

خامساً : للمجاهدين مائة درجة في الجنة .

قال ﷺ : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) رواه البخاري

سادساً : الجهاد سبب للنجاة من النار .

قال ﷺ : (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) . رواه البخاري

قال الحافظ ابن حجر : وفي ذلك إشارة إلى عظم قدر التصرف في سبيل الله ، فإذا كان مجرد مسّ الغبار للقدم يحرم عليها النار ، فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه ؟ .

سابعاً : من أسباب دخول الجنة .

قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) .

ثامناً : المجاهد يكون الله في عونه .

قال ﷺ :(ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف). رواه أحمد

تاسعاً : الجهاد ذروة سنام الإسلام .

قال ﷺ : (وذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله) . رواه الترمذي

ذروة الشيء : أعلاه .

عاشراً : نفى سبحانه التسوية بين المؤمنين المجاهدين وغير المجاهدين .

قال تعالى : (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً) .

الحادي عشر : أن الجهاد سبب لمغفرة الذنوب .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

٤- فضل الحج المبرور . وقد جاء في الحديث (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) متفق عليه .

٥- أن الأعمال الصالحة بعضها أفضل من بعض .

٦- سئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال ، فأجاب بإجابات متعددة مختلفة ، **من ذلك** :

سئل : أي الإسلام خير : قال : تطعم الطعام ....

وسئل : أي العمل أفضل : فقال : إيمان بالله ورسوله ... . [كما في حديث الباب] .

وسئل : أي الأعمال أحب إلى الله : فقال : الصلاة على وقتها ؟

وأجاب العلماء عن اختلاف الأجوبة مع اتحاد السؤال أن ذلك يرجع إلى أمرين :

أولاً : أن الجواب يختلف باختلاف أحوال السائلين، بأن أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه أو بما لهم فيه رغبة أو بما هو لائق بهم.

ثانياً : أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل من غيره .

ثالثاً : أن المراد (من أفضل) .[وهذا ضعيف] .

٧- إن قيل : لماذا قدم الجهاد وليس بركن على الحج وهو ركن ؟

فالجواب : إن نفع الحج قاصر غالباً ، ونفع الجهاد متعد غالباً ، أو كان الجهاد فرض عين .

٨- حرص الصحابة على السؤال والعلم .

٩- علو الهمة ، حيث سأل عن أفضل وأحب الأعمال عند الله ، فأين هم الناس في هذا الزمان ؟؟

١٠- أن يكون الإنسان همه أن يسأل عن الأعمال التي يحبها الله ، لا ما يحبها الناس .

(للأسف نرى إقبال من المستقيمين على الأناشيد – والمحاضرات التهريجية من أجل رغبة الناس) .

١١- فضل الإخلاص في سبيل الله .

١٢- حرص النبي ﷺ على تعليم أمته ما يقربهم إلى الله .

بحث : فقه مراتب الأعمال :

المقصود بفقه مراتب الأعمال : هو من أنواع الفقه التي يجب أن يتعلمها المسلم ويهتم بها ، وهو يعني : العلم بفاضل الأعمال ومفضولها ، وأرجحها ومرجوحها ، فإن كانت الأعمال طاعة علم أيّها أحب إلى الله وأكثرها أجراً وثواباً ، وإن كانت معصية علم أيّها أبغض إلى الله وأكثرها وزراً وعقوبة ، وإن كانت الأعمال وسيلة إلى أهداف معينة (المقاصد الشرعية مثلاً) علم أيّها أقدر على تحقيق هذه الأهداف ، وأيّها أولى بذلك ، وإن كان الإنسان أمام بدائل متعددة من خير أو شر ، علم خير الخيرين وشر

الشرين ، وإذا جهل المسلم أي الأعمال أفضل وأولى لاشك أنه ينفق وقته وجهده وماله في أجر أقل ويفوت ما هو أجل وأعظم ، وأنه إذا اختلطت لديه مراتب الأعمال واختل لديه توازنها قد يصل إلى عكس مقصود الشرع ؛ فيأثم من حيث يريد أن يغنم ، أو إلى عكس مقصوده في الواقع ؛ فيفسد من حيث يريد أن يصلح .

القرآن الكريم ومراتب الأعمال : وقد وردت آيات عديدة في كتاب الله (عز وجل) تبين أن الأعمال ليست كلها في درجة واحدة ، بل تختلف درجاتها في الخير ، كما تختلف دركاتها في الشر .

ومن ذلك قوله (تعالى) : [إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] .

قال ابن كثير : (فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها) .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ) ففاضلت الآية بين أمرين كلاهما طاعة وقربة ، وبينت أنهما لا يستويان عند الله تعالى .

وفي قوله تعالى : (لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) دليل على أن عبادة وقيام ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر .

كما بين القرآن الكريم في آيات أخرى : أن المحرمات منها الكبائر والصغائر ، فقال تعالى : (إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً) ، وقال سبحانه مادحاً عباده المحسنين : (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ) .

فدلت الآيتان على أن المنهيات قسمان : كبائر ، وأخرى دونها سميت في الآية الأولى سيئات ، وفي الثانية لمماً .

قال ابن كثير (لأن اللمَمَ من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال) .

السنة النبوية ومراتب الأعمال : والسنة النبوية زاخرة بالنماذج والأمثلة لتفاضل الأعمال والتكاليف الشرعية التي يجب على المسلم مراعاتها في عبادته وحركته في الحياة ، وربما يكون أجمع حديث في ذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان) .

وقد سئل الرسول ﷺ مراراً عن: أي الإسلام أفضل، أو أيه خير فأجاب ، وإنما المقصود أي أعمال المسلم أفضل أو أخير؛ ولذلك بوب الإمام النووي لأحاديث رواها مسلم في صحيحه من ذلك النوع ، فقال : (باب بيان تفاضل الإسلام ، أو أي أموره أفضل) .

وفي المقابل بينت أحاديث عديدة كون الذنوب أنواعاً ومراتب ، فعن أبي بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال ثلاثاً : (الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين) وكان متكئاً فجلس فقال : (ألا وقول الزور وشهادة الزور ، ألا وقول الزور وشهادة الزور) .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله : أي الذنوب أعظم ؟ قال : (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) ، قلت : ثم أي؟ قال : (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك) .

- وانطلاقاً مما مر، فقد اتفقت الأمة على أن الأحكام الشرعية التي كلف بها المسلم أنواع ومراتب، وليست على ميزان واحد، كما اتفق جمهور العلماء على انقسام مأمورات الشرع إلى واجبات ومستحبات ، وانقسام منهياته إلى مكروهات ومحرمات .

  يقول مجد الدين ابن تيمية في المسودة: (اتفق الفقهاء والمتكلمون على أن أحكام الشرع تنقسم إلى: واجب ، ومندوب، ومحرم ومكروه ومباح) .

ولأن الواجب على المسلم أن يضع كل أمر شرعي موضعه، ولا يخلط بين أنواع الأحكام أو يتعامل معها كيفما اتفق، فقد بين العلماء والأصوليون منهم بالخصوص تعريف كل نوع من الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة، ووضعوا قواعد لكيفية استنباطها وأساليب التفريق بينها ، كما قرروا أنه لذلك لا يجوز أن يُسوّى بين الواجب والمندوب (لا في القول ولا في الفعل ولا في الاعتقاد) ، ولا يسوى بين الحرام والمكروه ، ولا بين المباح وبين المندوب والمكروه .

يقول الشاطبي: الواجبات لا تستقر واجبات إلا إذا لم يُسوّ بينها وبين غيرها من الأحكام، فلا تُترك ولا يُسامح في تركها البتة، كما أن المحرمات لا تستقر كذلك إلا إذا لم يسوّ بينها وبين غيرها من الأحكام فلا تفعل ، ولا يسامح في فعلها .

والمصالح الشرعية مقسمة إلى : ضروريات ، وحاجيات ، وتحسينيات ، وهي مرتبة هذا الترتيب ، فإن الأوامر المتعلقة بالأمور الضرورية كما يقول الشاطبي : (ليست كالأوامر الشرعية المتعلقة بالأمور الحاجية ولا التحسينية ، ولا الأمور المكملة للضروريات كالضروريات أنفسها ، بل بينهما تفاوت معلوم ، بل الضروريات ليست في الطلب على وزن واحد ، كالطلب المتعلق بأصل الدين ليس في التأكيد كالنفس ، ولا النفس كالعقل إلى سائر أصناف الضروريات ، والحاجيات كذلك ..) .

إذاً لا يكفي المسلم أن يعلم ما أَمَر به الشرع أو ما نهى عنه، بل عليه أن يعلم أيضاً درجة الأمر أو النهي، وأن ينزل كل ذلك مرتبته دون إفراط ولا تفريط .

- وقد وصف الإمام ابن تيمية فقه مراتب الأعمال بأنه حقيقة الدين ، وحقيقة العمل بما جاءت به الرسل ، وبأنه خاصة العلماء بهذا الدين .

يقول : (فتفطن لحقيقة الدين ، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ، بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر ، حتى تقدم أهمها عند المزاحمة ، فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل ، فإن التمييز بين جنس المعروف وجنس المنكر ، وجنس الدليل وغير الدليل يتيسر كثيراً ، فأما مراتب المنكر ومراتب الدليل ، بحيث تقدم عند التزاحم أعرف المعروفين فتدعو إليه ، وتنكر أنكر المنكرين : وترجح أقوى الدليلين ، فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين) .

- وأما تلميذه ابن القيم فقد اعتبر انشغال الإنسان بالأعمال المفضولة عن الفاضلة من عقبات الشيطان التي لا يتجاوزها المسلم إلا بفقه في الأعمال ومراتبها ، إن الشيطان في هذه العقبة يأمر الإنسان ويُحَسّن له الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات ، ويريه ما فيها من الفضل والربح ؛ ليشغله بها عما هو أفضل وأعظم كسباً وربحاً ، (لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب ، طمع في تخسيره كماله وفضله، ودرجاته العالية ، فشغله بالمفضول عن الفاضل ، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه ، وبالمرضي عن الأرضى له) ، ثم قال ابن القيم : (فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله ، ومنازلها في الفضل ، ومعرفة مقاديرها ، والتمييز بين عاليها ، وسافلها ، ومفضولها وفاضلها ، ورئيسها ومرؤوسها ، وسيدها ومسودها ؛ فإن في الأعمال والأقوال سيداً ومسوداً ، ورئيساً ومرؤوساً ، وذروة وما دونها ، ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولي العلم ، السائرين على جادة التوفيق ، قد أنزلوا الأعمال منازلها ، وأعطوا كل ذي حق حقه .
- لقد كان لعدم الاهتمام بتعليم المسلم هذا الفقه الجليل آثار قد تكون بعيدة المدى وشديدة الضرر دنيا، وأخرى .

ومن تلك النتائج :

أولاً : ضياع الأجر: فالجاهل بمراتب الأعمال يهتم بالعمل قليل الأجر على حساب كثير الأجر، ويضيع الجهد الكبير للحصول على حسنات قليلة وتروي لنا السنة من ذلك أمثلة كثيرة فعن أنس قال : كنا مع النبي ﷺ في السفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال : فنزلنا منزلاً في يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده ، قال : فسقط الصوم وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية وسقوا الرِّكَاب ، فقال رسول الله (ذهب المفطرون اليوم بالأجر) .

وقد يصل الأمر إلى حد تضييع أصل الأجر نفسه .

فعن أبي هريرة قال : قال رجل: يا رسول الله ، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: (هي في النار) قال : يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها ، وصدقتها وصلاتها ، وأنها تصدق بالأثوار من الأقط (أي بالقطع من اللبن المجفف) ولا تؤذي جيرانها ، قال : (هي في الجنة) .

كما أن ابن الجوزي قد ذكر أمثلة متعددة لدى العبّاد بالخصوص ، كلها ناتج عن قلة الفقه بمراتب الأعمال ، قال مثلا : (وقد لبّس إبليس على جماعة من المتعبدين ، فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة ، أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلاناً فلا يقدر على الكسب لعائلته) .

ثانياً : سوء فهم الشريعة : إن الجهل بمراتب الأعمال عندما يكون عاماً ، يؤدي إلى فوضى فكرية عارمة ، تشوه الشريعة وتخل بتوازنها ، لقد أرسى الشرع بين المأمورات والمنهيات توازناً لا يجوز الإخلال به تماماً كَنِسَب الدواء الواحد ، قد يؤدي تغييرها إلى إفساده وإلغاء خصائصه ، إن لم ينقلب إلى سم قاتل ، ومن ذلك أن المسلم اليوم مثلاً قد أضحى عنده ترتيب جديد لأوامر الشرع ، يجعل الشعائر التعبدية (فرائض ومستحبات) أعلى مرتبة من سائر الواجبات والفرائض الأخرى ، وأوكد من ترك منهيات الشرع (محرمات ومكروهات) .

ثالثاً : غياب حس الأولويات في الدعوة : فسوء فهم الشريعة واختلاط مراتب أحكامها يؤدي إلى عجز الدعاة عن البدء بما يجب البدء به .

فإذا كان في أحكام الدين واجب ومستحب ، وفاضل ومفضول ، فإن الدعوة إلى الواجب والفاضل مقدم على الدعوة إلى مادونها ، لكننا نرى من بين شباب الصحوة الإسلامية ودعاتها من ينشغل بالمسائل المرجوحة والأحكام الخلافية ، وتُبدد الجهود والطاقات فيها ، والأولى البدء بالدعوة إلى أصول العقيدة والشريعة ، وبذل الجهد في معالجة القضايا المصيرية الكبرى للأمة .

وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد من اعتبار درجة المعروف ودرجة المنكر ، حتى لا يُفسد الإنسان بدل أن يصلح ، وحتى لا ينفّر بدل أن يبشر ، ولذلك اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه : (إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر ، بحيث لا يفرقون بينهما ، بل إما أن يفعلوهما جميعاً أو يتركوهما جميعاً لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر بل ينظر ، فإن كان المعروف أكثر ، أُمر به ، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه ، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله ، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات ، وإن كان المنكر أغلب نُهي عنه ، وإن استلزم ما هو دونه من المعروف ، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزِم للمنكر الزائد عليه ، أمراً بمنكر وسعياً في معصية الله ورسوله) إن هذا النص تطبيق رائع لفقه مراتب الأعمال وتقديم الراجح منها ، وقد صاغ الأصوليون ذلك في قواعد تشريعية هادية مثل : دفع أشد المفسدتين بأخفهما .

والإتيان بأعظم المصلحتين وتفويت أدناهما ، وتقديم المصلحة الراجحة على المفسدة الخفيفة ، وعدم ترك المصلحة الغالبة خشية المفسدة النادرة .. ولا يستقيم عمل دعوي إلا بفقه هذه الأصول والقواعد والالتزام بها ، فعسى أن يوفق أبناء الصحوة الإسلامية وشبابها إلى ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

١٩-باب إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلاَمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الاِسْتِسْلاَمِ أَوِ الْخَوْفِ مِنَ الْقَتْلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) .

٢٧- عَن سَعْدٍ ﷺ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطاً وَسَعْدٌ جَالِسٌ ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَىَّ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً . فَقَالَ « أَوْ مُسْلِماً » .فَسَكَتُّ قَلِيلاً ، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً فَقَالَ « أَوْ مُسْلِماً » . ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ « يَا سَعْدُ ، إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْهُ ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ) .

[مسلم : ١٥٠] .

قول البخاري (باب إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلاَمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الاِسْتِسْلاَمِ أَوِ الْخَوْفِ مِنَ الْقَتْلِ . لِقَوْلِهِ تَعَالَى (قَالَتِ الأعراب .....) : قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام وادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) أي دخلنا في الإسلام واقتصروا على ذلك .

(**قالت الأعراب**) هذه الآية نزلت في أعراب من بني أسد ادعوا لأنفسهم الإيمان الكامل .

(**ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**) أي ولم يدخل الإيمان الحقيقي في قلوبكم .

فهذه الآية نزلت في أعراب ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يحصل لهم بعد ، فأُدِّبُوا وأُعلِمُوا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد .

ولم يكونوا منافقين ، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا ، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير .

وقيل : إن هؤلاء الأعراب كانوا منافقين ولم يكونوا مؤمنين ، ومعنى : (ولكن قولوا أسلمنا) على هذا القول : أي استسلمنا خوف القتل والسبي ورجحه البخاري كما هنا والصحيح الأول .

فمعنى : (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) أي لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد :

لأنه قال (قالت الأعراب) ولم يقل : قال المنافقون .

ولأنه قال (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ولم ينفِ دخول الإسلام في قلوبهم ، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام كما نفى عنهم الإيمان .

ولأنه قال (يمنون عليك إسلامهم ...) فأثبت لهم إسلامهم ، ونهاهم أن يمنوا على رسول الله ، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لقال : لم تسلموا بل أنتم كاذبون .

ولأنه قال (بل الله يمنّ عليكم) ولو كانوا منافقين لما منّ عليهم .

(**أعطى رهطاً**) أي : جماعة وأصله الجماعة دون العشرة .

(**وهو أعجبهم إليّ**) أي : أفضلهم وأصلحهم في اعتقادي .

(**لأراه**) قال النووي : هو بفتح الهمزة أي أعلمه . أما بالضم : أي أظنه . ورجحها القرطبي .

(**أوْ مسلماً**) هو بإسكان الواو في رواية : (لا تقل مؤمناً بل مسلم) .

قال النووي في معنى هذه :فليس فيه إنكار كونه مؤمناً ، بل معناه النهي عن القطع بالإيمان ، وأن لفظة الإسلام أولى به ، فإن الإسلام معلوم بحكم الظاهر ، وأما الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله ، وقد زعم بعضهم أن الرجل لم يكن مؤمناً ، وليس كما زعم، بل فيه إشارة إلى إيمانه ، فإن النبي ﷺ قال في جواب سعد : إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه) معناه أعطى من أخاف عليه لضعف إيمانه أن يكفر وأدع غيره ممن هو أحب إليّ منه لما أعلمه من طمأنينة قلبه وصلابة إيمانه .

١- أن الإسلام غير الإيمان (وهذا إذا اجتمعا) فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة .

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : أن مسماها يختلف حسب الإفراد والاقتران .

وهذا قول جماهير أهل السنة .

ومن أبرز أدلتهم :

قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) أي دخلنا في الإسلام (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) .

وقد سبق أن الراجح في قوله (أسلمنا) أي : دخلنا في الإسلام ، وترجيح ذلك .

قال ابن كثير : استفيد من الآية أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

ولحديث جبريل فإنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام وعرفه النبي ﷺ بأركان الإسلام ، ثم سأله عن الإيمان وعرفه بأنه أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ... ، وهذا يدل على الفرق بينهما .

ومن أدلتهم حديث الباب .

قال ابن أبي العز معلقاً على هذا الحديث (فأثبت له الإسلام ، وتوقف في اسم الإيمان ، فمن قال : هما سواء، كان مخالفاً) وهذا مذهب جماهير العلماء .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إذا قرن الإسلام بالإيمان فإن الإسلام يكون الأعمال الظاهرة من نطق اللسان وعمل الجوارح، والإيمان الأعمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب ، ويدل لهذا التفريق قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) ، ويدل لذلك أيضاً حديث عمر بن الخطاب .... .

القول الثاني : أن مسماها واحد .

وهذا اختيار البخاري .

والراجح قول الجمهور .

٢- الشفاعة إلى ولاة الأمور فيما ليس بحرام (ابن الملقن) .

٣- فيه مراجعة المشفوع إليه في الأمر الواحد مراراً إذا لم يؤد إلى مفسدة .

٤- وفيه تنبيه المفضول الفاضل على ما يراه مصلحة لينظر فيه الفاضل .

٥- أن الإمام يصرف الأموال في المصالح الأهم فالأهم .

٦- وفيه أن الفاضل لا يقبل ما يشار عليه به مطلقاً بل يتأمله ، فإن لم تظهر مصلحته لم يعمل به .

٧- وفيه الأمر بالتثبت وترك القطع بما لا يعلم القطع فيه .

٨- وفيه أنه لا يقطع لأحد بالجنة على التعيين إلا من ثبت فيه نص كالعشرة وأشباههم وهذا مجمع عليه عند أهل السنة .

[الفوائد الماضية من شرح ابن الملقن] .

٩- القسم في الأخبار على سبيل التأكيد .

وينبغي على الإنسان أن لا يكثر الحلف إلا بالأمر الهام، كما أمر الله نبيه أن يقسم على البعث في ٣ مواضع:
قال تعالى (وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ) .
وقال تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) .
وقال تعالى (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)
١٠- من أساليب الدعوة تأليف القلوب بالمال والجاه .
١١- حرص النبي ﷺ الشديد على هداية الخلق .
١٢- أن النصيحة لولي الأمر تكون سراً كما في الرواية الأخرى .
١٣- أن الإيمان يزيد وينقص .

٢٠-باب إِفْشَاءُ السَّلاَمِ مِنَ الإِسْلاَمِ .

وَقَالَ عَمَّارٌ : ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ .

٢٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ قَالَ (تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) .

[مسلم / ٣٩] .

قول البخاري (وَقَالَ عَمَّارٌ ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ) قال العلامة ابن القيم في شرح هذه الكلمات :

وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه :

فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفّرة ، وأداء حقوق الناس كذلك ، وألا يطالبهم بما ليس له ، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوا به ، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها ، ويدخل في هذا : إنصافه نفسه من نفسه ، فلا يدعي لها ما ليس لها ، ويُنميها ويرفعها بطاعة الله (تعالى) وتوحيده ، وحبّه وخوفه .

وبذل السلام للعالم : يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد ، بل يبذل السلام للصغير والكبير ، والشريف والوضيع ، ومن يعرفه ومن لا يعرفه ...

وأما الإنفاق مع الإقتار فلا يصدر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يُخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين، وتوكل، ورحمة ، وزهد في الدنيا ، ووثوق بوعد مَنْ وعده مغفرة منه وفضلاً ، وتكذيباً بوعد من يعده الفقر ويأمره بالفحشاء .

وقال الحافظ في الفتح : قال أبو الزناد بن سراج وغيره : إنما كان من جمع الثلاث مستكملاً للإيمان ؛ لأن مداره عليها ، لأن العبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقّاً واجباً عليه إلا أداه ، ولم يترك شيئاً مما نهاه عنه إلا اجتنبه ، وهذا يجمع أركان الإيمان .

وبذل السلام يتضمن مكارم الأخلاق والتواضع وعدم الاحتقار ، ويحصل به التآلف والتحابب .

والإنفاق من الإقتار يتضمن غاية الكرم لأنه إذا أنفق مع الإقتار كان مع التوسع أكثر إنفاقاً ، وكونه مع الإقتار يستلزم الوثوق بالله والزهد في الدنيا وقصر الأمل وغير ذلك من مهمات الآخرة .

- ثم ذكر المصنف – رحمه الله – حديث (تطعم الطعام ....) وقد سبق شرحه ومناسبته .

٢١- باب كُفْرَانِ الْعَشِيرِ وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ

٢٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ » . قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ « يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ) .

[م / ٩٠٧ مطولاً] .

(**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ**) وعند مسلم (رأيتكن) قال القرطبي : اطلع على نساء آدميات من نوع المخاطبات لا نفس المخاطبات .

يحتمل أن تكون رؤيته ﷺ لهن في النار ليلة الإسراء ، ويحتمل أن يكون رآهن في صلاة الكسوف كما في حديث الكسوف (ورأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء) .

(**يَكْفُرْنَ**) أي : لما سئل النبي ﷺ عن السبب قال : يكفرن ، ولم يبين يكفرن بماذا ؟ فقالت إحداهن : أيكفرن بالله ؟

(**يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**) المراد بالعشير هنا الزوج . وقد فسره النبي ﷺ بقوله (لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط) .

(**وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ**) كأنه بيان لقوله : يكفرن العشير ، لأن المقصود كفر إحسان العشير ، لا كفران ذاته ، والمراد بكفر الإحسان تغطيته أو جحده ويدل عليه ما بعده (لو أحسنت ..) .

(**لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ**) المراد : عمر الرجل ، أو الزمان كله ، مبالغة في كفرانهن .

(**ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً**) التنوين فيه للتقليل ، أي : شيئاً قليلاً لا يوافق غرضها ، من أي نوع كان .

(**قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ**) أي : لم أر منك قليلاً من الخير .

وقد أخرجه البخاري عن أبي سعيد ، ومسلم عن ابن عمر عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ («يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاِسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ . قَالَ «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أذهب لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» . قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ قَالَ « أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ») .

(**ناقصات عقل**) قال القرطبي : العقل الذي نقصه النساء هو التثبت في الأمور ، والتحقيق فيها ، والبلوغ فيها إلى غاية الكمال .

(**ودين**) فسره النبي ﷺ بقوله (تمكث الليالي ما تصلي ....) .

(**أغلب لذي لب**) أي صاحب عقل. وعند البخاري (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُب الرجل الحازم من إحداكن) قال الحافظ : أذهب : أي أشد إذهاباً ، واللب أخص من العقل ، وهو الخالص منه ، والحازم : الضابط لأمره . وهذه مبالغة في وصفهن بذلك ، فغير الضابط أولى .

(**وتمكث الليالي ما تصلي**) بسبب الحيض .

(**وتفطر في رمضان**) أي : أياماً بسبب الحيض .

١- فضل الصدقة وأنها من أعظم أسباب النجاة من النار ، ومما يدل على ذلك أيضاً :

قوله ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) .

وقال ﷺ (ليتق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة) رواه أحمد .

وعن عائشة . قالت : قال ﷺ (يا عائشة! استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان) رواه أحمد

وللصدقة فضائل كثيرة :

أولاً : أنها برهان على صحة الإيمان .

كما قال ﷺ (والصدقة برهان) . أي برهان ودليل على صحة إيمان صاحبها .

ثانياً : أنها تطهير للنفس .

قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) .

ثالثاً : أنها مضاعفة للحسنات .

قال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء).

رابعاً : أنها تغفر الذنوب .

قال ﷺ (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) رواه الترمذي .

خامساً : درجة الجنة لا تنال إلا بالإنفاق .

قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

سادساً : أنها أمان من الخوف يوم الفزع الأكبر .

قال تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

سابعاً : صاحب الصدقة موعود بالأجر الكبير .

قال تعالى (فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير) .

ثامناً : أن الله يخلف الصدقة .

قال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) .

تاسعاً : أن الصدقة تزيد المال .

قال ﷺ (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم .

عاشراً : أنها تظلل صاحبها يوم القيامة .

قال ﷺ (العبد في ظل صدقته يوم القيامة) رواه أحمد .

٢- وجوب الاستغفار من الذنوب كلها .

قال تعالى في الحديث القدسي : (فاستغفروني أغفر لكم) .

وقال تعالى (واستغفر لذنبك) .

وقال تعالى (واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً) .

وقال سبحانه (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) .

وقال ﷺ (إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) رواه مسلم .

وقال ﷺ (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) رواه البخاري .

والاستغفار يكون على وجهين :

الوجه الأول : طلب المغفرة بلفظ : اللهم اغفر لي ، أو أستغفر الله .

الوجه الثاني : طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً لذلك .

وللاستغفار فضائل :

أولاً : تكفير السيئات ورفع الدرجات .

قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) .

وفي الحديث القدسي (قال الله : من يستغفرني فأغفر له ..) متفق عليه .

وتقدم قوله تعالى في الحديث القدسي (فاستغفروني أغفر لكم) رواه مسلم .

ثانياً : سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين .

قال تعالى عن نوح أنه قال لقومه (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً) .

ثالثاً : سبب لحصول القوة في البدن .

قال هود لقومه (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ).

رابعاً : سبب لدفع المصائب ورفع البلايا .

قال تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون).

خامساً : سبب لبياض القلب .

قال ﷺ (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه) . رواه أحمد

من أقوال السلف :

قال بعض العلماء : طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً .

وكان ابن عمر : يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول : إنكم لم تذنبوا .

وقال قتادة : إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، فأما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار .

٣- وجوب اتقاء النار بكل وسيلة .

ولذلك قال تعالى (اتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) .

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) .

وقال ﷺ (اتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه .

٤- إثبات النار وأهلها .

٥- أن النساء أكثر أهل النار ، وقد بين النبي ﷺ السبب وهو :

الإكثار من اللعن – وكفران حق الزوج .

٦- على المرأة أن تحذر من هذه المعاصي لأنها سبب في دخولها النار (وهذا الحكم حتى للرجال لكن خصت النساء لأنه في النساء أكثر).

٧- تحريم اللعن وأنها من أسباب دخول النار (وستأتي مباحثه إن شاء الله) .

٨- أن البلاء منشأه في كثير من الأحيان اللسان .

٩- في الحديث أن الكفر كفران .

١٠- عظم حق الزوج على زوجته . ومما يدل على ذلك :

قوله ﷺ (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها) رواه الترمذي .

وقال ﷺ (أيما امرأة دعاها زوجها للفراش فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح) متفق عليه .

١١- يجب على المرأة أن تعرف حقوق زوجها حتى لا تقع في كفران العشرة .

الحديث يدل على أن الإيمان يزيد وينقص (وهذا مذهب أهل السنة والجماعة) وسيأتي أدلته إن شاء الله .

١٢-إثبات نقصان عقل المرأة ودينها عن الرجل .

١٣-إثبات قوامة الرجل على المرأة لأنه أكمل عقلاً منها .

١٤-أن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد .

وتكون الأنثى على النصف من الذكر في أمور خمسة :

العقيقة ، الإرث ، الدية ، الشهادة ، العتق .

١٥-تحريم الصلاة على الحائض وكذلك الصوم .

قال النووي : أجمع المسلمون على أن الحائض والنفساء لا تجب عليهما الصلاة ولا الصوم في الحال .

لحديث الباب .

ولقوله ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش (إذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة) متفق عليه .

وأن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة .

قال النووي : وأجمعوا على أنه لا يجب عليهما قضاء الصلاة ، وأجمعوا على أنه يجب عليهما قضاء الصوم .

عن معاذة . قالت : (سألت عائشة ، فقلت : ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ (فقالت : كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة) متفق عليه .

- **اختلف العلماء في الحكمة في أنها تقضي الصوم دون الصلاة ؟**

قيل : أن الصلاة كثيرة متكررة فيشق قضاؤها بخلاف الصوم .

وقيل : الحكمة تعبدية ، وهي أمر الرسول ﷺ ولا يعلم ما الحكمة ولذلك قالت عائشة : كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

- **اختلف العلماء هل تثاب الحائض على تركها الصلاة أثناء الحيض ، كما يثاب المريض على ترك النوافل التي كان يعملها في صحته وشغل بالمرض عنها ؟**

قيل : لا تثاب على الترك .

لأن وصفه لها ﷺ بنقصان الدين بترك الصلاة زمن الحيض يقتضي ذلك .

وقيل : تثاب ، إذا قصدت امتثال قول الشارع في تركه ، **وهذا القول أقرب** .

١٦-مشروعية عظة النساء .

١٧-الرد على من أراد أن يضع المرأة كالرجل في كل شيء (فإن ذلك مضادة لدين الله) .

١٨-الحذر من فتنة النساء .

وقد قال ﷺ (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه .

وقال ﷺ (اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم .

١٩-فيه بيان خطر اللسان .

٢٠-ينبغي شكر من أسدى إليك معروفاً .

٢١-الحسنات يذهبن السيئات .

٢٢-أن النار موجودة .

٢٣-شفقة النبي ﷺ على أمته .

٢٤-السؤال عما أشكل .

٢٥-صوت المرأة ليس بعورة .

٢٦-تذكير الناس بالمحرمات التي انتشرت بينهم .

٢٢-باب الْمَعَاصِى مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلاَّ بِالشِّرْكِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

٣٠- عَنِ الْمَعْرُورِ قَالَ لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ (يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) . [م / ١٦٦١] .

(**عَنِ الْمَعْرُورِ**) بن سويْد .

(**قَالَ لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ**) الصحابي الجليل جندب بن جنادة بن قيس الصحابي ، مات (٣٢ هـ) .

(**بِالرَّبَذَةِ**) وهو موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل، وهو في شمال المدينة سكنه أبو ذر وبه كانت وفاته فدُفن فيه.

(**وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ**) وعند مسلم (وعليه برد) كساء من صوف مخطط من لباس الأعراب .

(**فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ**) أي : عن السبب في إلباسه غلامه نظير لبسه ، لأنه خلاف المألوف .

(**فَقَالَ إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً**) وفي الأدب (كان بيني وبين رجل كلام) وزاد مسلم (من إخواني) قيل الرجل المذكور هو بلال المؤذن مولى أبي بكر .

(**فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ**) أي : نسبته إلى العار , وفي الأدب (وكانت أمه أعجمية فنلت منها) وفي رواية قلت له (يا ابن السوداء) والأعجمي : من لا يفصح باللسان العربي سواء كان عربياً أو أعجمياً ، وفي الأدب (قلت على ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال : نعم) كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذاً بالأحوط. قال في الفتح : وقد جاء في سبب إلباس أبي ذر غلامه مثل لبسه أثر مرفوع أصرح من هذا وأخص ، أخرجه الطبراني من طريق أبي غالب عن أبي أمامة (أن النبي ﷺ أعطى أبا ذر عبداً فقال : أطعمه مما تأكل ، وألبسه مما تلبس ، وكان لأبي ذر ثوب فشقه نصفين ، فأعطى الغلام نصفه ، فرآه النبي ﷺ فسأله فقال : قلت يا رسول الله أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ؟ قال : نعم) .

(**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**) أي : خصلة من خصال الجاهلية .

(**إِخْوَانُكُمْ**) أي : الخدم أو العبيد .

(**خَوَلُكُمْ**) الخول بمعنى الخدم .

(**جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ**) أي : تحت أملاككم ورعايتكم .

(**وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ**) من العمل .

(**مَا يَغْلِبُوهُمْ**) أي : ما يعجزهم .

١- الحديث دليل على أن من فيه خصلة من خصال الجاهلية – سوى الشرك – فإنه لا يخرج عن الإيمان .

٢- في الحديث رد على الخوارج ، حيث أن أبا ذر لم يكفر بذلك .

٣- في الحديث رد على المرجئة ، حيث قال النبي لأبي ذر (إنك امرؤ فيك جاهلية) حيث أثرت على إيمانه .

٤- الحديث دليل على أن الطعن في الأنساب من أعمال الجاهلية ، كما قال ﷺ (أربع في أمتي من أعمال الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والفخر في الأحساب ...) رواه مسلم .

وقال ﷺ (إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية – أي كبرها – وفخرها بالآباء ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب) رواه أبو داود .

٥- الحديث دليل على تحريم التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية ، قال تعالى (لا يسخر قوم من قوم ...) .

٦- الحديث فيه فضل الصحابة حيث يعملون بما يعلمون .

٧- فضيلة أبي ذر حيث عمل بما سمع .

٨- تحريم تعيير الرجل بأمه .

٩- مواجهة المخطئ بخطئه وتعليمه وتوجيهه .

١٠- أن المعاصي من أمر الجاهلية .

١١- وجوب الإحسان إلى العبيد والمملوكين .

١٢- الحديث دليل على أن الإيمان يزيد وينقص .

١٣- الحديث دليل على ذم الجاهلية ، كما قال تعالى (وقرن في بيوتكن ..) .

١٤- الأمر بإطعام العبيد مما يطعم وإلباسهم مما يلبس ، قال النووي : وهذا الأمر محمول على الاستحباب لا على الإيجاب ، وهذا بإجماع المسلمين ، وأما فعل أبي ذر في كسوة غلامه كسوته فعمل بالمستحب ، وإنما يجب على السيد نفقة المملوك وكسوته بالمعروف .

باب : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فسماهم المؤمنين

٣١- عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ ذَهَبْتُ لأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ . قَالَ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ) .

[م : ٢٨٨٨] .

(**عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ**) مخضرم وقد رأى النبي ﷺ قبل إسلامه، وكان رئيس بني تميم في الإسلام، وبه يضرب المثل في الحلم، مات بالكوفة ٦٧ هـ .

(**قَالَ ذَهَبْتُ لأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ**) المراد بهذا الرجل ، علي بن أبي طالب ففي رواية لمسلم (ذهبت لأنصر ابن عم رسول الله ﷺ يعني علياً) ، قال في الفتح : وكان الأحنف أراد أن يخرج بقومه إلى علي ليقاتل معه يوم الجمل ، وكانت سنة (٣٦) .

(**فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ**) الصحابي المشهور ، اسمه نفيْع بن الحارث .

(**فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ**) زاد مسلم في روايته (يا أحنف) .

(**قَالَ ارْجِعْ**) وفي رواية مسلم (يا أحنف ارجع) ، وحمل أبو بكرة الحديث على عمومه في كل مسلمين التقيا بسيفيهما حسماً للمادة ، وقد أخرج البراز في حديث (القاتل والمقتول في النار) زيادة تبين المراد وهي (إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار) ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ (لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل ، فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : الهرج ، القاتل والمقتول في النار) .

(**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**) أي : يستحقان ذلك ولكن أمرهما إلى الله تعالى إن شاء عاقبهما ثم أخرجهما من النار كسائر الموحدين وإن شاء عفا عنهما فلم يعاقبهما أصلاً ، وقيل : هو محمول على من استحل ذلك .

١- الحديث دليل على تحريم الاقتتال بين المسلمين وأنه من كبائر الذنوب .

٢- الحديث رد على الخوارج الذين يقولون بكفر مرتكب الكبيرة ، ويدل لذلك :

قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ...) فسماهم مؤمنين .

ولحديث الباب (إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ...) فسماهم مسلمين مع التوعد بالنار .

٣- أن حديث الباب محمول على القتال بغير تأويل سائغ كما تقدم ((إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار) ولهذا قال القرطبي : فبين هذا الحديث (أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوى فهو الذي أريد بقوله : القاتل والمقتول في النار) ، ولهذا قال الحافظ ابن حجر : ومن ثَم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا ، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله .

٤- احتج بالحديث من لم ير القتال في الفتنة وهم كل من ترك القتال مع علي في حروبه كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة وغيرهم قالوا : يجب الكف حتى لو أراد أحد قتله لم يدفعه عن نفسه ، ومنهم من قال لا يدخل في الفتنة ، فإن أراد أحد قتله دفع عن نفسه ، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى نصر الحق وقتال الباغين ، وحمل هؤلاء الأحاديث الواردة في ذلك على من ضعف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق ، وحمل هؤلاء الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ بل بمجرد طلب الملك ، ولا يرد على ذلك منع أبي بكرة الأحنف من القتال مع علي ، لأن ذلك وقع عن اجتهاد من أبي بكرة أداه إلى الامتناع والمنع احتياطاً لنفسه ولمن نصحه ، قال الطبري : لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيوف لما أقيم حد ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل الفسق سبيلاً

إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة وقد نهينا عن القتال فيها وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء .

٥- فضيلة الأحنف بن قيس حيث امتثل لحديث (انصر أخاك ظالماً ...) .

٦- فضيلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

٧- أن الصحابي قد يتأول الحديث على غير وجهه ، حيث نزّل أبو بكرة الحديث على القتال بين الصحابة ، والصحيح أن الحديث محمول على القتال من أجل الدنيا والملك وغيرها من أمور الدنيا .

٨- في الحديث العذر للمتأول .

٩- وفيه وجوب نصرة المؤمن .

١٠- وفيه مراجعة الطالب للعالم فيما يشكل عليه .

١١- الحديث دليل على أن الأعمال بالنيات ، فإن هذا لما نوى قتل صاحبه صار كأنه فاعله ذلك :

قال الشيخ ابن عثيمين : فيمن همّ بمعصية :

النوع الأول : أن يعمل السيئة ، فهذا تكتب عليه سيئة واحدة من غير مضاعفة .

كما في الحديث (وإن هم بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة) .

وقال تعالى (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) .

النوع الثاني : الهم بالسيئة ثم يتركها خوفاً من الله ، فهذا تكتب له حسنة .

كما في حديث الباب (وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة) .

وقد جاء في رواية (إنما تركها من أجلي أو من جرائي) .

مثل قصة الذي همّ بابنة عمه بسوء فتركها لله ، فأجاب الله دعاءه وفرج همه فانفرجت الصخرة .

النوع الثالث : من همّ بالسيئة وسعى في تحصيلها لكن عجز عنها ، فهذا يكتب عليه وزر السيئة كاملاً ، دليل ذلك ، قول النبي ﷺ : إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا: يا رسول الله ! هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال: لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه .

٢٣- باب ظلم دون ظلم

٣٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتِ (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) شق ذلك على أصحاب رسولِ الله ﷺ , فقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ , قال : ليس كما تقولون ، أوَلم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه : يا بني لا تشرك الله) .

[م / ١٢٤] .

قول البخاري (باب ظلم دون ظلم) أي : بعضها أخف من بعض .

(**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ**) بن مسعود .

(**وَلَمْ يَلْبِسُوا**) أي لم يخلطوا ، ولِبس الشيء بالشيء : تغطيته به ، وإحاطته به من جميع جهاته .

(**إِيمَانَهُمْ**) توحيدهم .

(**بظلم**) أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، والمراد به في الآية الشرك كما فسره النبي ﷺ بذلك .

(**شق ذلك على أصحاب رسول الله وَقَالُوا أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ**) قال الخطابي: إنما شق عليهم ، لأن ظاهر الظلم الافتيات بحقوق الناس، وما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصي ، فظنوا أن المراد هنا معناه الظاهر ، فأنزل الله تعالى الآية ، ومن جعل العبادة وأثبت الربوبية لغير الله ظالم، بل هو أظلم الظالمين .

وقد قال شيخ الإسلام : الذي شق عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد لنفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه ، فبين لهم النبي ﷺ ما دلهم على أن الشرك ظلمٌ في كتاب الله ، وحينئذٍ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبسوا إيمانهم بظلم .

(**أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**) **قيل** : لهم الأمن : أي في الآخرة ، وهم مهتدون : أي في الدنيا .

وقيل : لهم الأمن : أي الأمن الكامل إذا لم يأتوا بكبيرة ، وهم مهتدون : أي في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل وفي الآخرة إلى الجنة ، (لهم الأمن) هل أمن كامل أم لا ؟

نقول : إن كان إيمانه كاملاً وسليماً من المعاصي فله الأمن الكامل ، وأما إذا سلم من الشرك الأكبر ولم يسلم من الشرك الأصغر وبعض الذنوب ، فهدايته وأمنه ليس كاملاً .

مثال ذلك : مرتكب الكبيرة آمن من الخلود في النار ، وغير آمن من العذاب ، بل هو تحت المشيئة .

وأما من وافى الله محققاً للتوحيد ، فإنه آمن أمناً مطلقاً ، آمن من الخلود في النار ، وآمن من العذاب .

(**لقمان**) رجل صالح أعطي الحكمة وأثنى الله عليه في القرآن .

١- الحديث دليل على أن الظلم درجات ، وأنه يتفاوت ، وأن منه ما ينافي أصل الإيمان ومنه ما ينافي كماله .

٢- فضل التوحيد ، وأن من أتى به فله الأمن التام كما قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) .

٣- أنه كلما انتفى الظلم وُجد الأمن والاهتداء ، وكلما كمل التوحيد ، وانتفت المعصية ، عظم الأمن والاهتداء .

٤- أن الشرك أعظم الظلم .

٥- الأخذ بالعموم حتى يثبت ما يخصصه .

٦- الرد على الخوارج .

٧- الرد على المرجئة .

٨- الحديث دليل على فضل الصحابة .

٩- أن المعاصي كتبت على ابن ادم .

١٠- عدم عصمة أحد من الصحابة .

١١- فضل الصحابة وخوفهم .

١٢- تفسير القرآن بالقرآن .

١٣- نصيحة الأب لابنه ووصيته له بالتوحيد .

١٤- الرجوع إلى أهل العلم عند الاشتباه .

١٥- فضل لقمان والثناء عليه .

١٦- البداءة بالدعوة بالتوحيد والتحذير من الشرك .

١٧- الرجوع للعلماء في فهم النصوص .

١٨- لا بد من جمع النصوص في المسالة لفهمها فهماً صحيحاً .

١٩- الظلم أنواع :

أولاً / الشرك بالله ، وهو أعظم الظلم كما قال تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم) .

ثانياً / ظلم العبد نفسه بالمعاصي، قال تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد).

ثالثاً / ظلم العبد لغيره ، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض . قال تعالى : (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب عظيم) .

١٥- أن الشرك سبب للخوف والقلق .

٢٤- باب علامات المنافق

٣٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) .

[م / ٥٩] .

٣٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) .

[م / ٥٨] .

قول البخاري (باب علامة المنافق) قال الحافظ : قدم أن مراتب الكفر متفاوتة وكذلك الظلم ، أتبعه بأن النفاق كذلك .

(**آية**): علامة .

(**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ**) النفاق إظهار الإسلام وإخفاء الكفر ، وقد اختلف العلماء ما المراد بالنفاق في هذا الحديث ، لأن هذه الصفات موجودة في كثير من المسلمين : **فقيل** : معناه أن صاحب هذه الخصال شبيه بالمنافقين ، **وقيل** : المراد بالنفاق هنا النفاق العملي ورجحه القرطبي واستدل له بقول عمر لحذيفة: هل تعلم فيّ شيئاً من النفاق؟ فإنه لم يرد بذلك نفاق الكفر . و إنما أراد نفاق العمل ، **وقيل** : المراد التحذير عن ارتكاب هذه الخصال وإن الظاهر غير مراد ، والراجح أن المراد بهذا النفاق في هذا الحديث النفاق العملي .

(**أربع**) أي أربع خصال .

(**منافقاً خالصاً**) أي : شديد الشبه بالمنافقين بهذه الخصال .

(**من كانت فيه خَلة**) بفتح الخاء : هي الخصلة .

(**كذب**) الكذب الإخبار بخلاف الواقع .

(**غدر**) الغدر ترك الوفاء به .

(**أخلف**) أي لم يفعل ما وعد به .

(**خاصم**) أي : جادل .

(**فجر**) أي : مال عن الحق ، والمراد هنا الشتم والرمي بالأشياء القبيحة والبهتان .

١- التحذير من الاتصاف بصفات المنافقين .

٢- أن من النفاق ما يخرج من الملة ومنه ما لا يخرج من الملة .

٣- الرد على الخوارج .

٤- الرد على المرجئة .

٥- النفاق شعب كما أن الإيمان شعب .

٦- أن الإيمان يزيد وينقص .

٧- ينبغي للمسلم أن يعرف صفات المنافقين لكي يتجنبها .

قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

٧- من صفات المنافقين ما ورد في هذا الحديث ، **وهي** :

أولاً : الكذب في الحديث .

والكذب : الإخبار بخلاف الواقع ، وهو محرم .

قال النووي : قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب ، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ، وإجماع الأمة متفقة على تحريمه . [وتأتي مباحثه إن شاء الله] .

قال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) .

ثانياً : إخلاف الوعد .

وهذا يدل على أن إخلاف الوعد محرم ، لأنه من صفات المنافقين .

وقد تعالى (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ) .

ثالثاً : الخيانة في الأمانة .

مثال : إذا أودعه إنساناً شيئاً ، وطلب منه أن يحفظها ، فيأتي هذا المودع عنده ويستعمل هذا الشيء أو يهملها فلا يحفظها ، أو بأخذ ماله .

مثال آخر : يكون الإنسان ولياً على مال يتيم ، فلا يقوم بالواجب ، بل يهمل ماله ، وربما يأخذه لنفسه .

رابعاً : إذا عاهد غدر .

أي حالف وعاهد على أمر غدر به ، وهي قريبة من معنى (وإذا وعد أخلف) .

خامساً : إذا خاصم فجر ، أي إذا تخاصم مع شخص عند القاضي أو غيره .

والفجور في الخصومة على نوعين :

أولاً : أن يدعي ما ليس له .

والثاني : أن ينكر ما يجب عليه .

مثال : ادعى شخص على آخر عند القاضي : أنا أطلب هذا الرجل ألف ريال – وهو كاذب - وحلف على هذه الدعوى ، وأتى بشاهد زور ، فحكم له القاضي ، فهذا خاصم ففجر ، لأنه ادعى ما ليس له ، وحلف عليه .

٨- إنما كانت هذه من علامات المنافق ، لأن أصل النفاق مبني على التورية والستر ، يستر الخبيث ويظهر الطيب .

٩- هناك صفات أخرى للمنافق غير هذه الصفات ذكرت في مواضع أخرى :

أولاً : الكسل عن الصلاة .

قال تعالى : (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) .

ثانياً : التخلف عن صلاتي الفجر والعشاء .

قال رسول الله ﷺ : (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر) . متفق عليه

ثالثاً : قلة ذكر الله .

قال تعالى : (ولا يذكرون الله إلا قليلاً) .

رابعاً : عدم الفقه في الدين .

قال تعالى : (ولكن المنافقين لا يفقهون) .

خامساً : الاهتمام بالظاهر وإهمال الباطن .

قال تعالى : (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) .

سادساً : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .

قال تعالى : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) .

١٠- فضيلة الصدق في الحديث .

وفي الحديث (لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) .

١١- فضيلة الوفاء بالوعد ووجوبه .

وقد أثنى الله على إسماعيل بذلك فقال تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً) .

١٢- أخبرنا النبي ﷺ بصفات المنافقين لأمرين :

الأول : أن نحذر من هذه الصفات الذميمة .

الثاني : لنحذر من يتصف بهذه الصفات .

١٣- الرد على من يقول إذا أراد أن يعد أحداً (يقول : أعدك وعداً غربياً) أي أعدك ولا أخلفك ، وهذا كلام خطير ، لأن الإيفاء بالوعد من أخلاق الإسلام وليس من أخلاق الغربيين .

١٤- التحذير الشديد من هذه الخصال الأربع .

١٥- أن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان ونفاق .

١٦- أن الإيمان يزيد وينقص .

١٧- أن النفاق شعب كما أن الإيمان شعب .

١٨- أن عمل الباطن له علامات في الظاهر .

١٩- وجوب الصدق في الحديث وتحريم الكذب .

٢٠- تحريم الخيانة والغش ووجوب النصح وتأدية الأمانة .

٢١- أن النفاق ينقسم إلى قسمين :

نفاق عملي : وهو الموجود بهذا الحديث ، وهو ذنب عظيم .

نفاق اعتقادي : وهو تكذيب الرسول ﷺ – تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ – بغض الرسول – بغض بعض ما جاء به الرسول – المسرة لانخفاض دين الرسول – الكراهية لانتصار دين الرسول – وصاحبه في النار مخلد في الدرك الأسفل من النار .

٢٥- باب قيام ليلة القدر من الإيمان

٣٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ يَقُمْ [وفي رواية قام] لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) .

[م / ٧٥٩] .

قول البخاري (باب قيام ليلة القدر من الإيمان) لما بيّن علامات النفاق وقبحها رجع إلى ذكر علامات الإيمان وحسنها . (الفتح) .

(مَنْ يَقُمْ [قام] لَيْلَةَ الْقَدْرِ) سميت ليلة القدر بذلك ،قيل : لأن الله يقدر فيها الأرزاق والآجال وحوادث العام ،كما قال تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) ، وعزاه النووي للعلماء حيث صدر كلامه فقال : قال العلماء : سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار .

وقيل : سميت بذلك لأنها ليلة عظيمة وذات شرف ، من قولهم لفلان قدر عند فلان ، أي : منزلة وشرف .

ويدل لذلك قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) .

وقيل : سميت بذلك لأنها تكسب من أحياها قدراً عظيماً ، ويدل لذلك قوله ﷺ : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

(إِيمَاناً) أي : تصديقاً بوعد الله بالثواب عليه .

(وَاحْتِسَاباً) أي : طلباً للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه .

(غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه) المراد الصغائر عند أكثر العلماء .

١- الحديث دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان .

٢- الحديث دليل على فضيلة قيام ليلة القدر ، وأن قيامها سبب لمغفرة الذنوب ومن الإيمان ، وقد ورد لليلة القدر فضائل عديدة :

أولاً : قيامها سبب لمغفرة الذنوب .

كما في حديث الباب .

ثانياً : أنزل فيها القرآن .

قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) .

ثالثاً : أنها مباركة .

قال تعالى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) .

رابعاً : أنها سلام .

قال تعالى (سلام هي حتى مطلع الفجر) .

٣- أن الإخلاص شرط لقبول العمل .

٤- سعة فضل الله تعالى .

٥- الحديث دليل على أن من قام ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه ، يتناول الصغائر والكبائر وإلى ذلك جنح ابن المنذر .

قال النووي : المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر .

والدليل قوله ﷺ (الصلوات الخمس،والجمعة إلى الجمعة،ورمضان إلى رمضان،مكفرات لما بينها إذا اجتنبت الكبائر). رواه مسلم

ولحديث عثمان . قال : قال ﷺ (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها ، ما لم يؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله) رواه مسلم .

قال القاضي عياض : هذا المذكور في الأحاديث من غفران الصغائر دون الكبائر هو مذهب أهل السنة ، وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى .

٦- مشروعية الاجتهاد في الأعمال الصالحة .

٧- قوله ﷺ (من قام ليلة القدر ...) مع قوله ﷺ (من صام رمضان ..) قد يقال : إن أحدهما يغني عن الآخر ؟

فالجواب : أن يقال : قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر ، ومعرفتها سبب لغفران الذنوب ، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سبب للغفران ، وإن لم يقم غيرها . قاله النووي .

٢٦- باب الجهاد من الإيمان

٣٦- عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ) .

[م / ١٨٧٦] .

(**انْتَدَبَ اللَّهُ**) وفي الرواية الأخرى (تكفل الله) وفي رواية (وتوكل على الله)، وقوله (انتدب الله، وتكفل الله، وتضمن الله) بمعنى واحد ، ومحصّله تحقيق الوعد المذكور في قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ...) .

(**لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ**) أي : لأجل إعلاء كلمته .

(**لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي**) وفي رواية (لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله) وهو نص صريح على اشتراط خلوص النية لله تعالى .

(**أَنْ أُرْجِعَهُ**) أي : أردّه .

(**بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**) أي : مع أجر خالص إن لم يغنم ، أو مع غنيمة خالصة معها أجر ، وكأنه سكت عن الأجر الثاني مع الغنيمة لنقصه بالنسبة إلى الأجر الذي بلا غنيمة ، والحامل على هذا التأويل أن ظاهر الحديث أنه إذا غنم لا يحصل له أجر ، وليس ذلك مراداً ، بل المراد : أو غنيمة معها أجر أنقص من أجر من لم يغنم ، وقيل إن (أو) بمعنى (الواو) وبه جزم ابن عبد البر والقرطبي والتقدير : بأجر وغنيمة .

(**أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**) إن مات .

(**وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ**) السرية: هي القطعة من الجيش من خمسة إلى ثلاثمائة , وقيل: إلى أربعمائة، سميت بذلك : لأن الغالب عليها أن تسير بالليل وتختفي بالنهار ، وقيل : لأنها تكون من خلاصة الجيش وخيارهم .

(**وَلَوَدِدْتُ**) أي : لأحببت ، قال الحافظ : وكأنه ﷺ أراد المبالغة في بيان فضل الجهاد ، وتحريض المسلمين عليه .

(**أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ**) استشكل بعض الشراح صدور هذا التمني من النبي ﷺ مع علمه بأنه لا يقتل ، وأجاب ابن التين بأن ذلك لعله كان قبل نزول قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ، وهو متعقب ، فإن نزولها كان في أوائل ما قدم المدينة ، وهذا الحديث صرح أبو هريرة بأنه سمعه من النبي ﷺ ، وإنما قدم أبو هريرة في أوائل سنة سبع

من الهجرة ، والذي يظهر في الجواب أن تمني الفضل والخير لا يستلزم الوقوع ، فقد قال ﷺ (وددت أن موسى صبر ...) ونظائر ذلك كثيرة ، وكأنه ﷺ أراد المبالغة في بيان فضل الجهاد ، وتحريض المسلمين عليه .

١- الحديث دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان .

٢- الحديث دليل على فضل الجهاد وأنه من أسباب دخول الجنة .

٣- فضيلة الاخلاص وأنه شرط لصحة العمل .

٤- الحث على حسن النية .

٥- الوعيد لمن قاتل رياء وسمعة أو بحثاً عن المنصب .

٦- الحديث دليل على عظم ثواب من لم يغنم في جهاده ، حيث إنه يحصل الأجر كاملاً ، بخلاف من غنم ، فإنه ينقص من أجره ما حصل له من الغنيمة .

وقد جاء في صحيح مسلم عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ إِلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ) .

قيل : إن هذا الحديث محمول على من خرج بنية الجهاد والمغنم .

ومنهم : من حمل نقص الأجر على غنيمة أخذِت على غير وجهها ، وهذا ضعيف .

واختار ابن عبد البر أن المراد بنقص أجر من غنم : أن الذي لا يغنم يزداد أجره لحزنه على ما فاته من الغنيمة ، كما يؤجر من أصيب بماله ، فكان الأجر لما نقص عن المضاعفة بسبب الغنيمة عند ذلك كالنقص من أصل الأجر .

٢٢- ترك بعض المصالح لمصلحة راجحة .

٢٣- شفقة النبي ﷺ على أمته ، وشدة رأفته بهم ، كما وصفه الله بذلك في قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم حريص عليكم ...) .

٢٤- استحباب تمني الشهادة ، وقد قال ﷺ (من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

٢٥- السعي في إزالة المكروه عن المسلمين .

٢٦- الحديث دليل على أن الأصل في الجهاد أنه فرض كفاية ، إذ لو كان على الأعيان ما تخلف أحد .

٢٧- باب تطوع قيام رمضان من الإيمان

٣٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) .

[م / ٧٥٩] .

(**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ**) المراد بقيام رمضان صلاة التراويح . [قاله النووي] .

ويدل لذلك ما جاء في الصحيحين عن عائشة قالت: (صلى النبي ﷺ في المسجد في شهر رمضان ومعه ناس، ثم صلى الثانية فاجتمع الناس أكثر من الأولى، فلما كانت الثالثة أو الرابعة امتلأ المسجد حتى غض بأهله، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فجعل الناس ينادونه فقال : أما إنه لم يخفَ علي أمركم، ولكن خشيت أن تكتب عليكم) زاد البخاري (فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك) .

رَمَضَانَ : **سمي بذلك** : **قيل** : لأنه ترمض فيه الذنوب أي تحرق لأن الرمضاء شدة الحر .**وقيل** : وافق ابتداء الصوم منه زمناً حاراً .

(**إِيمَاناً**) أي تصديقاً بوعد الله بالثواب عليه .

(**وَاحْتِسَاباً**) أي طلباً للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه .

(**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**) تقدم أن المراد بذلك الصغائر عند جمهور العلماء .

١- الحديث دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان .

٢- الحديث دليل على فضل قيام الليل في رمضان ، وهي صلاة التراويح .

قال النووي : هي سنة بالاتفاق .

وفي الحديث : (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتبت له قيام ليلة) .

قال الحافظ ابن حجر : سميت الصلاة في جماعة في ليالي رمضان التراويح ، لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين .

وأول من جمع الناس عليها عمر .

فقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : (خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل ويصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه) .

(**أوزاع**) بسكون الواو ، أي : جماعة متفرقون .

(**فجمعهم على أبي بن كعب**) أي جعله لهم إماماً ، وكأنه اختاره عملاً بقوله ﷺ : (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) وقال عمر : (أقرؤنا أبي) .

صلاتها جماعة أفضل :

- لإقامة النبي ﷺ لها كما سبق .
- ولحديث أبي ذر السابق : (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) .

السبب في عدم استمرار النبي ﷺ عليها :

خشية أن تفرض عليهم صلاة الليل في رمضان فيعجزون, كما سبق في حديث عائشة .

ويشرع للنساء حضورها .

وقد روى سعيد بن منصور من طريق عروة : (أن عمر جمع الناس على أبي بن كعب فكان يصلي بالرجال ، وكان تميم الداري يصلي بالنساء) .

عدد ركعاتها [١١] ركعة .

عن عائشة قالت : (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة) . رواه مسلم

وجاء عند مالك في الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أنه قال : (أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة) .

٣- في الحديث أن مغفرة الذنوب مشروط بشرطين : أن يكون إيماناً – وأن يكون محتسباً .

٤- وفيه فضل الإخلاص لله .

٥- وفيه دليل على جواز قول رمضان من غير إضافة كلمة شهر ،ومن الأدلة على هذا الجواز :

حديث الباب (من قام رمضان ...) .

وقوله ﷺ (من صام رمضان ...) .

قوله ﷺ (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة . . .) .

وقوله ﷺ (لا تقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين ...) .

وقوله ﷺ (شهرا عيد لا ينقصان : رمضان ...) متفق عليه .

وذهب بعض العلماء إلى أنه لا يقال رمضان على انفراده بحال ، وإنما يقال شهر رمضان .

وهذا قول أصحاب مالك .

واستدلوا بحديث (لا تقولوا رمضان ، فإن رمضان اسم من أسماء الله ، ولكن قولوا شهر رمضان) .

قال النووي : قولهم أنه اسم من أسماء الله ليس بصحيح ، ولم يصح فيه شيء ، وإن كان قد جاء به أثر ضعيف .

وقال ابن حجر : أخرجه ابن عدي في الكامل وضعفه بأبي معشر .

٦- سعة رحمة الله .

٧- فضل شهر رمضان .

٢٨-باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان

٣٨-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) .

[م / ٧٥٩] .

(**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ**) الصوم شرعاً : إمساك بنية عن جميع المفطرات كالأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

(**إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**) تقدم شرحها .

١- الحديث دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان .

٣- الحديث دليل على فضل صيام رمضان ، ومن فضائله :

أولاً : تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين). متفق عليه

وهذا يتم في أول ليلة من هذا الشهر المبارك .

لقوله ﷺ (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ... وقيل: يا با غي أقبل ويا باغي الشر أقصر) رواه الترمذي .(**صفدت**) أي شدت بالأصفاد ، **المراد بالشياطين** : المردة منهم ، فقد جاء عند النسائي (وتغل فيه مردة الشياطين) .

ثانياً : فيه ليلة القدر . التي هي خير من ألف شهر .

قال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) .

وقد حسب بعض العلماء ألف شهر فوجدوها تزيد على (٨٣) سنة .

ثالثاً : شهر القرآن .

قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) .

والمراد إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا كما جاء ذلك عن ابن عباس .

رابعاً : صوم رمضان سبب لمغفرة الذنوب .

قال ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه .

٤- الحديث دليل على جواز قول رمضان من غير إضافة كلمة (شهر) كما سبق .

٢٩-باب الدين يسر

وقول النبي ﷺ (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)

٣٩-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ [والقصدَ القصدَ تبلغوا]) .

(**وقول النبي ﷺ (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**) وصله المصنف في الأدب المفرد وأحمد في مسنده وإسناده حسن .

(**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**) أي : دين الإسلام ذو يسر ، أو سمي الدين يسراً مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله ، لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم ، ومن أوضح الأمثلة أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم ، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والتوبة .

(**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ**) المشادة الغلبة ، والمعنى : لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب .

(**فَسَدِّدُوا**) أي : الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط .

(**وَقَارِبُوا**) أي : إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرُب منه .

قال ابن رجب: (فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا): التسديد: هو إصابة الغرض المقصود، والمقاربة: أن يقارب الغرض وإن لم يُصبه، لكن يكون مجتهداً على الإصابة ، فيصيب تارة ويقارب أخرى ، أو تكون المقاربة لمن عجز عن الإصابة كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال ﷺ (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) .

(**وَأَبْشِرُوا**) أي : استبشروا بالثواب على العمل الدائم وإن قل ، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل ، بأن العجز إذ لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره .

(**وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**) الغدوة : سير أول النهار إلى الزوال ، والروحة : السير بعد الزوال ، (وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) سير آخر الليل ، قال الحافظ : والمعنى : استعينوا على مداومة العبادة ، بإيقاعها في الأوقات المنشطة ، فإن هذه الأوقات أطيب أوقات المسافر ، وكأنه ﷺ خاطب مسافراً إلى مقصد ، فنبهه على أوقات نشاطه ، لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع ، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة ، أمكنته المداومة من غير مشقة ، وحسّن هذه الاستعارة أن يكون في الدنيا في الحقيقة ، دار نقلة إلى الآخرة ، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة .

(**والقصدَ القصدَ تبلغوا**) أي : الأخذ بالأمر الوسط .

١- الحديث دليل على يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها .

وقد جاء في الحديث (إن دين الله يسر) وقال ﷺ (عليكم هدياً قاصداً ، فإنه من يُشاد هذا الدين يغلبه) رواهما أحمد ، وإسناد كل منهما حسن . قاله في الفتح .

٢- الحديث دليل على أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والتعسير .

كما قال تعالى (يرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) . وقال تعالى (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) .

وكان النبي ﷺ يقول (يسروا ولا تعسروا) متفق عليه .

وقال ﷺ (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) رواه البخاري .

وفي المسند عن ابن عباس قال : قال ﷺ (أحب الأديان إلى الله الحنيفية) .

وقد أنكر النبي ﷺ على من عزم على التبتل والاختصاء وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة .

٣- الحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يتعمق بالأعمال الدنيا لأن ذلك يؤدي إلى الانقطاع ، وأنه ينبغي له أن يختار الأوقات المناسبة التي يكون فيها نشيطاً .

قال ابن رجب : يعني أن هذه الأوقات الثلاثة أوقات العمل والسير إلى الله ، وهي أول النهار وآخره ، فالغُدوة أول النهار ، والروحة آخره ، والدلجة سير آخر الليل ، وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال (إذا سافرتم فعليكم بالدلجة ، فإن الأرض تطوى بالليل) فسير آخر الليل محمود في سير الدنيا بالأبدان ، وفي سير القلوب إلى الله بالأعمال (والقصد القصد تبلغوا) يعني من داوم على سيره إلى الله في هذه الأوقات الثلاثة مع الاقتصاد بلغ، ومن لم يقتصد بل بالغ واجتهد فربما انقطع في الطريق ولم يبلغ، وقد جاء من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً (إن هذا الدين متين، فأوغِل فيه برفق، ولا تُبغّض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا سفراً قطع ، ولا ظهراً أبقى) والمنبت هو المنقطع في سفره قبل وصوله، فلا سفره قطع ، ولا ظهره الذي يسير عليه أبقى ، حتى يمكنه السير عليه بعد ذلك ، بل هو كالمنقطع في المفاوز ، فهو إلى الهلاك أقرب ، ولو أنه رفق براحلته واقتصد في سيره عليها لقطعت به سفره ، وبلغ إلى المنزل .

٤- الحديث تبشير لمن سلك القصد في طاعة الله ، فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد في الأعمال ، فإن طريق الاقتصاد والمقاربة أفضل من غيرها ، فمن سلكها فليبشر بالوصول ، فإن الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في غيرها (وخير الهدي هدي محمد ﷺ) فمن سلك طريقه كان أقرب إلى الله من غيره ، وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية ، لكن بكونها خالصة لله عز وجل صواباً على متابعة السنة وبكثرة معارف القلوب وأعمالها .

قال ابن رجب : فأفضل الناس من سلك طريق النبي ﷺ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية ، فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان .

٥- الأمر بالقصد في العمل لأن ذلك أقرب إلى الدوام ، فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السآمة والانقطاع ، ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ .

٦- الحث على الرفق بالعمل والاقتصاد فيه ، وترك حمل النفس على المشقة .

٧- التنبيه على أوقات النشاط .

٨- قال ابن المنير : في هذا الحديث عَلَم من أعلام النبوة ، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع ، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة ، فإنه من الأمور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته . [قاله في الفتح] .

٣٠-باب الصلاة من الإيمان

وقول الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) يعني صلاتكم عند البيت

٤٠- عَنِ الْبَرَاءِ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ - مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، [وفي رواية : كان يحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة] وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلاَّهَا صَلاَةَ الْعَصْرِ ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ ، وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ).

قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا ، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) .

[م : ٥٢٥] .

(**عَنِ الْبَرَاءِ**) هو البراء بن عازب .

(**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ**) وكان قدومه يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول حين اشتداد الضحى ، وكادت الشمس تعتدل ، قال الحافظ : أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف .

(**وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**) أي : جهته .

(**سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً**) هذا بالشك ، وفي رواية للمصنف بدون شك (ستة عشر) وكذا لمسلم من رواية أبي الأحوص ، وفي رواية للبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف (سبعة عشر) قال الحافظ : والجمع بين الروايتين بأن يكون من جزم بستة عشر لفّق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الزائد ، ومن جزم بسبعة عشر عدَّهما معاً ، ومن شك تردد في ذلك .

(**وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ**) وفي رواية (كان يحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة) .

(**وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلاَّهَا صَلاَةَ الْعَصْرِ**) وفي رواية لمسلم (ثم إنه وجّه إلى الكعبة) . وفي رواية (وصُرِف إلى القبلة) والمراد القبلة المعهودة وهي الكعبة المشرفة ، قال الحافظ : والتحويل كان في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور ، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس .

- وقع اختلفت الروايات في تعيين الصلاة التي وقع فيها التحويل ، والمسجد الذي آتاهم فيه ، فوقع في رواية البراء أنها العصر كما هي هنا عند البخاري ، وأخرج البزار من حديث أنس (انصرف رسول الله ﷺ عن بيت المقدس وهو يصلي الظهر بوجهه إلى الكعبة) وللطبراني نحوه من وجه آخر عن أنس ، وفي كل منهما ضعف [قاله في الفتح] .

(**فَقَالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ**) أي : أحلف بالله .

(**لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ**) وفي رواية للنسائي (أن رسول الله ﷺ وجهَ إلى الكعبة) ولمسلم (فَوَلَّوْا وجوهَهم قِبَل البيت) .

(**فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ**) وقد وقع بيان كيفية التحويل في حديث تُوَيْلة بنت أسلم عند ابن أبي حاتم، وفيه قالت: (فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء ، فصلينا السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام) .

قال الحافظ : وتصويره أن الإمام تحول من مكانه في مقَدَّم المسجد إلى مؤخر المسجد ، لأن من استقبل الكعبة استدبر بيت المقدس، وهو لو دار كما هو في مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف، ولما تحول الإمام تحولت الرجال حتى صاروا خلفه، وتحولت النساء حتى صِرنَ خلف الرجال ، وهذا يستدعي عملاً كثيراً في الصلاة ، فيحتمل أن يكون ذلك وقع قبل تحريم العمل الكثير ، كما كان قبل تحريم الكلام ، ويحتمل أن يكون اغتفر العمل المذكور من أجل المصلحة المذكورة ، أو لم تتوالى الخطا عند التحويل ، بل وقعت مفرقة .

١- الحديث دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان ، حيث سمى الصلاة إيماناً .

٢- الحديث دليل على فرضية استقبال القبلة في الصلاة والمراد استقبال الكعبة .

٣- الحديث دليل على جواز نسخ الأحكام ووقوعه .

قال ابن عبد البر : أجمع العلماء على أن شأن القبلة أول ما نسخ من القرآن ، وأجمعوا أن ذلك كان بالمدينة .

٤- اختلف العلماء في كيفية استقباله ﷺ بيت المقدس على ثلاثة أقوال :

الأول : أنه كان باجتهاد منه ، وبه قال الحسن وعكرمة .

الثاني : أنه كان مخيراً بينه وبين الكعبة ، فاختار القدس طمعاً في إيمان اليهود ، قاله الطبري .

الثالث : ما عليه الجمهور ، ابن عباس وغيره ، أنه وجب عليه استقباله بأمر الله تعالى ووحيه لا محالة ، ثم نسخ الله ذلك ، وأمره أن يستقبل الكعبة ، واستدلوا بقوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ...) وهذا القول هو الصحيح .

٥- قبول خبر الواحد .

٦- في الحديث مشروعية مخالفة اليهود .

٧- وفيه أن القرآن منزل .

٨- وفيه بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال .

٩- وفيه استحباب إكرام القادم أقاربه بالنزول عليهم دون غيرهم .

١٠- أن محبة الإنسان الانتقال من طاعة إلى أكمل منها ليس قادحاً في الرضا بل هو محبوب .

١١- أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه ، لأن أهل المسجد وأهل قباء صلوا إلى بيت المقدس بعض صلاتهم بعد النسخ لكن قبل بلوغه إليهم . [قاله ابن الملقن] .

٣١- باب حسن إسلام المرء

٤١- عن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا) .

٤٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا) .

[م / ١٢٩] .

(**إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ**) هذا الحكم يشترك فيه الرجال والنساء ، وذكره بلفظ المذكر تغليباً .

(**فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ**) أي : صار إسلامه حسناً ، باعتقاده وإخلاصه ودخوله فيه بالباطن والظاهر .

(**يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ**) أي : يمحو الله عنه كل سيئة ومعصية .

(**كَانَ زَلَفَهَا**) أي : قدمها واكتسبها، وجاء عند النسائي بلفظ (... فحسن إسلامه، كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها) وهذه لم يذكرها البخاري .

(**وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ**) أي : كتابة المجازاة ، والمماثلة الشرعية .

(**الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ، وهو ما وقع جواباً لسؤال مقدر تقديره هنا : كيف القصاص ؟

(**إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ**) متعلق بمقدر : أي منتهية إلى سبعمائة ضعف .

(**وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا**) أي : تكتب بمثلها .

١- الحديث دليل على فضل إحسان الإسلام ، وأن الإنسان ينبغي له إحسان عبادته وإسلامه .

والإحسان هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق ، وأنه سبحانه يختبر عباده في إحسانهم للعمل .

كما قال تعالى في أول سورة هود (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) . ولم يقل أيكم أكثر عملاً .

وقال تعالى في أول سورة الكهف (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) ثم بيّن الحكمة بقوله (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) .

وقال تعالى في أول سورة الملك (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) .

فالإحسان : أن يأتي بالعمل حسناً متقناً لا نقص فيه ولا وصم ، وإحسان العمل لا يمكن إلا بمراقبة خالق هذا الكون .

و الإحسان في الشرع له معنيان على حسب تصريفه اللغوي :

أحدهما : إيصال النفع ، ومحله المخلوق لا الخالق . ويشمل جميع أنواع البر والعطف .

والثاني : إتقان العمل وإيجادة الشيء ، ومحله الخالق والمخلوق ، فهو نوعان :

أحدهما : الإحسان مع الخالق : وحدّه ما ذكره النبيﷺ في هذا الحديث ، وحقيقته كما سبق : اتقان الظاهر والباطن على مشاهدة المشاهدة والمراقبة .

وقد قال النبي ﷺ في تفسير الإحسان (أن تعبد كأنك تراه) يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهو استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه .

ثم قال : وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، ويوجب أيضاً النصح في العبادة ، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها .

والآخر : الإحسان إلى المخلوق بأداء حقوقه إليه .

- وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد الإكثار منه ، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان .

قال بعض السلف : إن الرجلين ليقومان في الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض .

- **فضائل الإحسان :**

أولاً : أن من أحسن إلى الناس أحسن الله إليه .

قال تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) .

ثانياً : لهم في الدنيا حسنة .

قال تعالى (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) .

ثالثاً : رحمة الله قريبة من المحسنين .

قال تعالى (إن رحمت الله قريب من المحسنين) .

رابعاً : لهم الجنة ونعيمها .

قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) .

خامساً : تبشير المحسنين .

قال تعالى (وبشر المحسنين) .

سادساً : أن الله معهم .

قال تعالى (وإن الله لمع المحسنين) .

سابعاً : إن الله يحب المحسنين .

قال تعالى : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .

ثامناً : إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

قال تعالى (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) .

تاسعاً : الإحسان سبب في دخول الجنة .

قال تعالى : (آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ) .

عاشراً : الكافر إذا رأى العذاب تمنَّ أن لو أحسن في الدنيا .

قال تعالى (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) .

- قال ابن رجب في قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) وقد ثبت تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل في الجنة ، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان ، لأن الإحسان هو أن يعبدَ المؤمنُ ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة ، وكأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته ، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عياناً في الآخرة .

٢- في الحديث أن الإيمان متفاوت من حسن وأحسن .

٣- وفيه أن الإيمان الحقيقي يجب ما قبله .

٤- وفيه أن الكفر يمنع من وصول أجر الأعمال إلى أصحابها .

٥- أن الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة .

٦- أخذ بعض العلماء من قوله (**إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ**) أن التضعيف لا يتجاوز سبعمائة، ورُد عليه بقوله تعالى (والله يضاعف لمن يشاء) والآية محتملة للأمرين، والمصرح بالرد عليه حديث ابن عباس المخرج عند البخاري في الرقاق ولفظه (كتب الله له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة) فقوله (إلى أضعاف كثيرة) دال على الزيادة على سبعمائة .

٧- أن من عمل سيئة فإنها تكتب عليه سيئة واحدة لا تضاعف .

٨- وفيه سعة رحمة الله بعباده ، فإن الحسنات تضاعف والسيئات لا تضاعف .

٩- **أعمال الكافر الحسنة :**

أولاً : حال كفره لا تقبل ومردودة .

قال تعالى (وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ) ، فإذا كانت الصدقة وهي نفع متعدي لا تقبل منه فغيرها من النفع الخاص من باب أولى .

ثانياً : إذا مات على الكفر فلا تقبل وهو مخلد في النار .

قال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) .

وقال تعالى (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . فعلق حبوط العمل بموته على الكفر .

وقال تعالى (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

ثالثاً : أن يسلم ويحسن إسلامه ، فهنا يكتب له ما كان يعمله فضلاً من الله .

قال النووي : وذهب ابن بطال وغيره من المحققين إلى أن الحديث على ظاهره ، وأنه إذا أسلم الكافر ، ومات على الإسلام يثاب على ما فعله من الخير في حال كفره ، واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري قال : قال ﷺ : إذا أسلم الكافر ، فحسن إسلامه ، كتب الله تعالى له كل حسنة زَلَفها، ومحا عنه كل سيئة زلفها، وكان عمله بعد ذلك ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها .

ولحديث الباب .

- فالكافر عمله الصالح معلق بإسلامه ، موقوفة على إسلامه ، إن أسلم تقبل ، وإلا ترد ، كما قال تعالى (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ...) فعلق حبوط عمله بالموت على الكفر .

وقد قال ﷺ لعائشة لما سألته عن ابن جدعان ما كان يصنعه من الخير ، هل ينفعه ؟ فقال : إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ، فدل على أنه لو قالها بعد أن أسلم نفعه ما عمله في الكفر .

- ويترتب على هذا مسألة خلافية فقهية ، وهي أن المسلم إذا حج ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإسلام فالراجح من أقوال أهل العلم أنه لم يحبط حجه ، ولا يجب عليه إعادته ، وهذا مذهب الإمام الشافعي وأحد قولي الليث بن سعد ، واختاره ابن حزم .

٣٢- باب أحب الدين إلى الله أدومه

٤٣- عَنْ عَائِشَةَ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ « مَنْ هَذِهِ » . قَالَتْ فُلاَنَةُ [لا تنام الليل] . تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا . قَالَ « مَهْ ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ [من الأعمال] ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا » . وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ) .

[م / ٧٨٥] .

قول البخاري (باب أحب الدين إلى الله أدومه) قال في الفتح : مراد المصنف بهذا الاستدلال على أن الإيمان يطلق على الأعمال ، لأن المراد بالدين هنا العمل ، وقال : ومعنى (أحب الدين) أي : خصال الدين ، لأن خصال الدين كلها محبوبة ، لكن ما كان منها سمحاً ، أي : سهلاً ، فهو أحب إلى الله ، ويدل عليه ما أخرجه أحمد بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (خير دينكم أيسره) .

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ) جاء عند مسلم أنها الحولاء بنت تُوَيت .

(تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا) كما في الرواية الثانية (لا تنام الليل) أي : كله ، وعند أحمد (لا تنام تصلي) .

(قَالَ مَهْ) هذه كلمة زجر ، يحتمل أن يكون زجراً لعائشة عن مدح المرأة بما ذكرت ، ويحتمل أن يكون للمرأة زجراً عن فعلها هذا .

وقال ابن رجب : وقول النبي ﷺ (مه) زجر لعائشة عن قولها عن هذه المرأة في كثرة صلاتها ، وأنها لا تنام الليل ، وأمرٌ لها بالكف عما قالته في حقها ، فيحتمل أن ذلك كراهية للمدح في وجهها ، حيث كانت المرأة حاضرة ، ويحتمل – وهو الأظهر – وعليه يدل سياق الحديث : أن النهي إنما هو لمدحها بعمل ليس بممدوح في الشرع .

(عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ) أي : اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه .

(وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ) بحيث لا ينقطع ، وسيأتي بالفوائد سبب محبة الله لذلك .

قال ابن الملقن : والدين هنا الطاعة .

١- الحديث دليل على أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ، فالحديث فيه حث على الاقتصاد في العمل ، والأخذ منه بما يتمكن صاحبه من المداومة عليه .

قال النووي : فيه الحث على المداومة على العمل ، وأن قليله الدائم خير من كثيرٍ ينقطع ، وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع ، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص ، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة .

وقال ابن الجوزي : إنما أحب العمل الدائم لمعنيين :

أحدهما : أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصول ، فهو متعرض لهذا .

والثاني : أن مداومة الخير ملازم للخدمة ، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتاً ما كمن لازم يوماً كاملاً ثم انقطع .

وقال ابن رجب : وهكذا كان عمل النبي ﷺ وعمل آله وأزواجه من بعده ، وكان ينهى عن قطع العمل ، وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص (لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) وقال ﷺ (يستجاب لأحدكم ما لم يَعْجل فيقول : قد دعوتُ فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) وقال الحسن : إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوماً على طاعة الله فبغاك وبغاك ، فإن رآك مداوماً ملّكَ ورفضك ، وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك .

- والعمل الصالح المداوم عليه له فضائل :

أولاً : أن العمل المداوم عليه محبوب لله .

كما في حديث الباب (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) .

وسئل ﷺ ، أي العمل أحب إلى الله ؟ قال (أدومه وإن قل) متفق عليه .

ثانياً : أن المداومة على العمل من هدي النبي ﷺ .

عن عائشة قالت (كان رسول الله إذا عمل عملاً أثبته) رواه مسلم .

وعنها قالت (وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه) متفق عليه ، أي : لازموه وداوموا عليه .

وعنها قالت (كان عمله – يعني النبي ﷺ – ديمة) رواه مسلم ، (دِيمة) بكسر الدال أي : دائماً .

وقال لعبد الله بن عمرو (لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) رواه مسلم .

ثالثاً : أن المداومة على العمل سبب لمحبة الله.

كما في الحديث القدسي (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ..) . رواه البخاري

رابعاً : أن المداومة سبب لإظلال العبد في ظل الله.

في الحديث (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظله إلا ظله : وذكر منها : وشاب نشأ في عبادة الله ، ... إلخ

ومن المعلوم أنه لابد من الاستمرار على ذلك ليحصل على الأجر.

خامساً : أن المداومة سبب لطهارة القلب من النفاق .

لأن المنافق تثقل عليه العبادة والطاعة ولا يستطيع أن يستمر بها . (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى) .

سادساً : أن المداومة على العمل سبب للنجاة من الشدائد .

في الحديث قال ﷺ (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) رواه الترمذي .

سابعاً : أن المداومة على العمل فيه دوام اتصال القلب بالله .

وهذا يزيد القلب قوة وثباتاً ونشاطاً وتوكلاً وتعلقاً بالله .

ثامناً : أن المداومة على العمل ترويض للنفس على الطاعة .

ولهذا قيل : نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية .

٢- الحث على الاقتصاد في العبادة وعدم التعمق .

٣- إنكار المنكر وتوجيه المخطئين للصواب .

٤- إثبات المحبة لله تعالى .

٥- جواز الحلف من غير استحلاف .

٦- أن الإيمان يتفاضل .

٧- بيان شفقته ﷺ ورأفته بأمته ، لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم ، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة .

٣٣- باب زيادة الإيمان ونقصانه

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً) وَقَالَ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فَإِذَا تَرَكَ شَيْئاً مِنَ الْكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ .

٤٤- عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ) .

[م / ١٩٣] .

(**مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**) نطقاً وإقراراً ، فإن قيل لم يذكر الرسالة ؟ فالجواب : أن المراد هو المجموع ، أي : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(**وَزْنُ**) أي : عدل .

(**شَعِيرَةٍ**) بفتح أوله وكسر ثانيه .

(**مِنْ خَيْرٍ**) فيه إطلاق الخير على الإيمان ، والخير في الأصل : ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى ، وأعلى ذلك الإيمان .

(**وزن بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**) البر بضم الموحدة وتشديد الراء المفتوحة وهي القَمحَة .

١- الحديث دليل على خروج الموحدين من النار وأن الموحد لا يخلد في النار ، وقد اتفق عليها أهل السنة والجماعة .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) . رواه مسلم

- وهذه الشفاعة ينكرها من أهل البدع طائفتان : المعتزلة والخوارج ، لأن المعتزلة والخوارج مذهبهما في فاعل الكبيرة أنه مخلد في النار ، فيرون من زنى كمن أشرك بالله ، لا تنفعه الشفاعة ولن يأذن الله لأحدٍ بالشفاعة له .

وقولهم مردود بما تواترت به الأحاديث في ذلك كما سبق .

٢- الحديث رد على الخوارج الذين يقولون أن فاعل الكبير مخلد في النار .

٣- الحديث رد على المرجئة الذين يقولون : إن الذنوب لا تؤثر .

٤- فضل التوحيد وأن من مات على التوحيد لا يخلد في النار .

٥- الحديث دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة :

قال تعالى (وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) .

وقال تعالى (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً) .

وقال تعالى (فزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) .

وقال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ) .

وقال ﷺ (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ....) متفق عليه .

وقال ﷺ (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) رواه أبو داود .

وعن ابن مسعود أنه قال (اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً) .رواه ابن بطة بإسناد صحيح .

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول (الإيمان يزداد وينقص) رواه ابن ماجه .

وكان عمر يقول لأصحابه : هلموا نزدد إيماناً ، فيذكرون الله .

وكان معاذ بن جبل يقول لرجل : اجلس بنا نؤمن ساعة .

٦- خطر الشرك وأنه سبب للخلود في جهنم .

٧- أن الجنة لا يدخلها كافر .

٨- بيان دخول بعض العصاة من الموحدين النار .

٩- سعة رحمة الله .

٤٥- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً . قَالَ أَيُّ آيَةٍ قَالَ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً). قَالَ عُمَرُ قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ).

[م / ٣٠١٧] .

(**أن رجلاً من اليهود**) اسم هذا الرجل هو كعب الأحبار ، بيّن ذلك مسدد في مسنده والطبري في تفسيره .

(**لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً**) الضمير ليوم النزول، أي : لعظمناه ، وجعلناه عيداً لنا في كل سنة، لعظم ما حصل فيه من إكمال النزول ، والعيد فِعلٌ من العود ، وإنما سمي به لأنه يعود في كل عام .

١- الحديث دليل على أن الإيمان يزيد وينقص

٢- الحديث دليل على فضل يوم الجمعة .

٣- الحديث دليل على أن الأعياد لا تكون بالرأي والاختراع كما يفعله أهل الكتابين قبلنا ، وإنما تكون بالشرع والاتباع .

٣٤- باب الزكاة من الإسلام

٤٦- عن طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ قال (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، ثَائِرُ الرَّأْسِ ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ ، وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ « خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » . فَقَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا قَالَ « لاَ ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « وَصِيَامُ رَمَضَانَ » . قَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهُ قَالَ « لاَ ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ » . قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ . قَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا قَالَ « لاَ ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ » . قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ) .

[م / ١١] .

(**ثائر الرأس**) قال القرطبي : منتفش الرأس (يعني أن شعره متفرق من ترك الرفاهية) .

(**دوي صوته**) بعده في الهواء ومعناه شدة صوت لا يفهم ، **وقال الخطابي** : هو صوت مرتفع متكرر ولا يُفهم .

(**حتى دنا**) قرب .

(**إلا أن تطوع**) الاستثناء منقطع ومعناه : لكن يستحب لك أن تطوع .

(**لا أزيد على هذا**) الذي علمتنيه شيئاً غيره .

(**أفلح إن صدق**) أي فاز وظفر ببُغيته ، قالوا : ولا كلمة في اللغة أجمع للخيرات منه ، جاء في رواية البخاري في كتاب الصيام (فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام) فتضمنت هذه الرواية أن في القصة أشياء أجملت .

قال ابن الملقن : فإن قلت : كيف قال (لا أزيد على هذا) وليس فيه جميع الواجبات ولا المنهيات ولا السنن ، وأقره الشارع وزاد بقوله (أفلح إن صدق) ؟

فالجواب : أنه جاء في رواية البخاري في أول كتاب الصيام زيادة توضح ذلك (قال : فأخبره بشرائع الإسلام ، فقال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ، ولا أنقص مما فرض الله عليّ) فعلى عموم قوله (بشرائع الإسلام) وقوله (مما فرض علي) يزول الإشكال في الفرائض ، وأما النوافل فيحتمل أن هذا كان قبل شرعها ، ويحتمل أن المراد أنه لا يزيد في الفرض لتغيير صفته كأنه قال : لا أصلي الظهر خمساً ، وهذا ضعيف جداً ، لأنه قال – فيما أسلفناه – لا أتطوع ، والجواب الصحيح أنه على ظاهره ، وأنه أراد أنه لا يُصلي النوافل بل يحافظ على كل الفرائض ، وهذا مفلح بلا شك ، وإن كانت مواظبته على ترك النوافل مذمومة وترد بها الشهادة إلا أنه غير آثم بل هو مفلح ناجٍ ، وإن كان فاعل النوافل أكمل فلاحاً منه .

١- حرص الصحابة على تعلم الخير .

٢- أن تعلم الصحابة وسؤالهم من أجل العمل .

٣- استحباب السفر والارتحال من بلد إلى بلد لأجل تعلم الدين وسؤال أهل العلم .

٤- يجب الاهتمام بالفرائض قبل النوافل .

٥- وجوب تعلم الفرائض وجوباً عينياً .

٦- أن الطالب يسأل العالم عما أشكل عليه .

٧- أن الأعمال تنقسم إلى فرائض ونوافل .

٨- أن الفرائض أهم وأوجب من النوافل .

٩- أنه لا ضير لمن لم يأتِ بالنوافل إذا جاء بالفرائض .

١٠- أن الاقتصار على الفرائض سبب لدخول الجنة وينجي من النار .

١١- أن لا يجب من الصلوات إلا الفرائض الخمس .

١٢- أن الوتر غير واجب وهذا مذهب جماهير العلماء .

١٣- أن عدد الصلوات المفروضة خمس .

كما في حديث (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ... الخ) رواه مسلم .

١٤- أن وجوب صلاة الليل منسوخ في حق الأمة .

١٥- أن الأعمال من الإيمان فلا يكفي النطق دون العمل .

١٦- يسر وسهولة هذه الشريعة .

١٧- حسن السؤال .

١٨- أهمية الصلاة وعظيم مكانتها في الإسلام .حيث فرضت يومياً خمس مرات .

١٩- فضل الصدق لقوله (أفلح إن صدق) .

٢٠- فضل الصدق وأنه سبب للطمأنينة . **فضائل الصدق** :

أولاً : أنه سبب للطمأنينة .

كما في حديث الباب : (فإن الصدق طمأنينة) .

ثانياً : هو المميز بين المؤمن والمنافق .

قال ﷺ : (آية المنافق ثلاث : ... وإذا حدث كذب ...) .

ثالثاً : لا ينفع يوم القيامة إلا الصدق .

قال تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) .

رابعاً : الصدق أصل كل بر .

قال ﷺ : (إن الصدق يهدي إلى البر) متفق عليه .

خامساً : أن مجاهدة النفس على تحري الصدق توصلها إلى مرتبة الصديقية .

قال ﷺ : (... ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) .

فائدة : والصدق يشمل :

الصدق في الأقوال – والصدق في الأعمال – والصدق في النية [أن تكون خالصة لله] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والصدق أساس الحسنات وجماعها ، والكذب أساس السيئات ونظامها .

- **علامات الصدق** :

أولاً : أنه يورث السكينة والطمأنينة .

ثانياً : الزهد في الدنيا والتأهب للقاء الله .

ثالثاً : سلامة القلب ، فان المؤمن الصادق لا يحمل في قلبه غشاً للمسلمين ولا شراً .

رابعاً : الزهد في ثناء الناس ومدحهم بل وكراهة ذلك .

قال ابن القيم : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء إلا كما يجتمع الماء والنار .

خامساً : الشعور بالتقصير والانشغال بإصلاح النفس عن غيرها .

٢١- جاء عند مسلم (أفلح وأبيه إن صدق) فإن قيل : كيف حلف بأبيه مع أن الحلف بغير الله شرك ؟ الجواب من أوجه :

الأول : هي كلمة جرت عادة العرب أن تُدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف .

والثاني : أن هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله .

والثالث : أن فيه اضمار اسم الرب كأنه قال : ورب أبيه .

والرابع : هو خاص ، ويحتاج دليل .

والخامس : هو تصحيف ، وإنما كان والله ، فقصرت اللامان .

٢٢- اختلف العلماء هل يجب لمن بدأ بنافلة أو تطوع أن يتمها ويحرم قطعها ؟

القول الأول : يجب أن يتمها .

وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك . لقوله تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) .

ولحديث الباب (إلا أن تطوع) قالوا الاستثناء متصل والمعنى : لا يجب عليك شيء غير الصلاة إلا أن تطوع ، فإن تطوعت وجبت عليك .

القول الثاني : لا يجب إتمامها .

وهذا مذهب الشافعية والحنابلة .

لحديث عائشة قالت (أتانا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله! أهدي لنا حيْس، فقال أرنيهِ فلقد أصبحت صائماًفأكل) رواه مسلم

ولحديث (الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر) .رواه الحاكم

٣٥- باب اتباع الجنائز من الإيمان

٤٧-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً ، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا ، وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ) .

[م / ٩٤٥] .

(**مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ**) وفي الرواية الأخرى (من شهد الجنازة) أي : حضرها .

(**إِيمَاناً**) بوعد الله .

(**وَاحْتِسَاباً**) للأجر .

(**وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا**) أي : إلى أن يُفرغ من الصلاة عليها .

(**وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا**) وفي الرواية الأخرى عند مسلم (ومن شهدها حتى تدفن) .

(**فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ**) قال الحافظ : وقد أثبتت هذه الرواية أن القيراطين إنما يحصلان بمجموع الصلاة والدفن ، وأن الصلاة دون الدفن يحصل بها قيراط واحد ، وهذا هو المعتمد ، خلافاً لمن تمسك بظاهر بعض الروايات ، فزعم أنه يحصل بالمجموع ثلاثة قراريط .

(**كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ**) وفي رواية للمصنف وعند مسلم أيضاً (قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ) ولمسلم (أصغرهما مثل أحد) ، والقيراط في حديث الباب جزء من أجزاء معلومة عند الله ، وقد قرّبها النبي ﷺ للفهم بتمثيله القيراط بأحد .

١-الحديث دليل على الفضل العظيم لمن شهد واتبع الجنازة ، وأن من شهد الجنازة حتى يصلى عليها وحتى يفرغ منها فإنه يرجع بقيراطين .

وفي رواية (قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ قَالَ : مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ) .

وفي رواية (أصغرهما مثل أحد) .

وللنسائي (فله قيراطان من الأجر ، كل واحد منهما أعظم من أحد) .

ولابن ماجه من حديث أبيّ بن كعب (القيراط أعظم من أُحد هذا) .

ولابن عدي من حديث واثلة (كُتب له قيراطان من أجر ، أخفهما في ميزانه يوم القيامة أثقل من جبل أحد) ، فأفادت هذه الروايات بيان وجه التمثيل بجبل أحد ، وأن المراد به زنة الثواب المرتّب على ذلك العمل ، أفاده الحافظ رحمه الله .

٢-أن أتباع الجنائز على مرتبتين :

الأولى : اتباعها من عند أهلها حتى الصلاة عليها .

الثانية : إتباعها من عند أهلها حتى يفرغ من دفنها .

وهذه المرتبة الثانية أفضل لحديث الباب حيث يحصل على قيراطين .

قال الحافظ قوله (فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ) قال الحافظ : وقد أثبتت هذه الرواية أن القيراطين إنما يحصلان بمجموع الصلاة والدفن ، وأن الصلاة دون الدفن يحصل بها قيراط واحد ، وهذا هو المعتمد ، خلافاً لمن تمسك بظاهر بعض الروايات ، فزعم أنه يحصل بالمجموع ثلاثة قراريط .

وقال النووي : فيحصل بالصلاة قيراط ، وبالاتباع مع حضور الدفن قيراط آخر ، فيكون الجميع قيراطين ، تبيّنه رواية البخاري في أول صحيحه في (كتاب الإيمان) .. ثم ذكر حديث الباب .

٣-حث الشارع الحكيم على شهود الجنازة .

(كان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف ، فلما بلغه حديث أبو هريرة قال : أكثر علينا أبو هريرة ، فأرسل خباباً إلى عائشة يسألها عن قول أبو هريرة ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت ، وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلبها في يده حتى رجع إليه الرسول ، وقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة ، فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض ثم قال فرطنا في قراريط كثيرة) .

٤-أن هذا الفضل في اتباع الجنائز إنما هو للرجال دون النساء .

لقول أم عطية (نهينا عن اتباع الجنائز) .

٥-قوله (وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا) وفي رواية مسلم (ومن شهدها حتى تدفن) قال النووي : في هذا دليل على أن القيراط الثاني لا يحصل إلا لمن دام معها من حين صُليَ إلى فراغ دفنها ، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا ، وقال بعض أصحابنا : يحصل القيراط الثاني إذا سُتِر الميت في القبر باللبَّن ، وإن لم يلقَ عليه التراب ، والصواب الأول .

ظاهره أن حصول القيراط متوقف على فراغ الدفن .

وقيل : يحصل بمجرد الوضع في اللحد ، لرواية عند مسلم (حتى توضع في اللحد) .

وقيل : عند انتهاء الدفن قبل إهالة التراب لرواية (حتى توضع في القبر) والله أعلم .

٦-أنه يحصل للمصلي والمشيع حتى تدفن ثواب لا يعلم قدره إلا الله .

٧-أن في الصلاة على الميت وتشييع جنازته إحسان إلى الميت وإلى المصلي والمشيع .

٨- قوله (مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَاناً ...) استدل به من قال إن المشي خلف الجنازة أفضل من المشي أمامها ، لأن ذلك هو حقيقة الاتباع حساً .

وقال بعض العلماء : إن المشي أمامها أفضل .

قال ابن دقيق العيد : الذين رجحوا المشي أمامها حملوا الاتّباع هنا على الاتباع المعنوي ، أي : المصاحبة ، وهو أعم من أن يكون أمامها أو خلفها أو غير ذلك .

٣٦-باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ : مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلاَّ خَشِيتُ أَن أَكُونَ مُكَذَّباً .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ .

وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ .

وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) .

٤٨- عن زُبَيْدٍ قال : سألت أبا وائل عن المرجئة فقال : حدثني عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) .

[م / ٢٢١] .

(**باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله**) هذا الباب معقود للرد على المرجئة خاصة وإن كان أكثر ما مضى من الأبواب قد تضمن الرد عليهم ، والمرجئة بضم الميم نسبوا إلى الإرجاء وهو التأخير ، لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان فقالوا : الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولم يشترط جمهورهم النطق ، وجعلوا للعصاة اسم الإيمان الكامل وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب أصلاً .

(**وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ : مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلاَّ خَشِيتُ أَن أَكُونَ مُكَذَّباً**) قوله (مكذَّباً) يروى بفتح الذال يعني خشيت أن يكذبني من رأى عملي مخالفاً لقولي فيقول : لو كنت صادقاً ما فعلت خلاف ما تقول ، وإنما قال ذلك لأنه كان يعظ الناس ، ويروى بكسر الذال وهي رواية الأكثر ومعناه : أنه مع وعظه الناس لم يبلغ غاية العمل ، وقد ذم الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وقصر في العمل .

(**وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ**) الصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلّهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة ، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع ، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص ، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم ، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى .

(**وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ**) قيل: يعني الله تعالى وكذا شرحه ابن التين وجماعة من المتأخرين، وقرره الكرماني ، قلت : وهذا الكلام وإن كان صحيحاً لكنه خلاف مراد المصنف ومن نقل عنه ، والذي أوقعهم في هذا هو الاختصار ، وإلا فسياق كلام الحسن البصري يبين أنه إنما أراد النفاق ... عن المعلى بن زياد قال سمعت الحسن البصري يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق ، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن ، وكان يقول : من لم يخف النفاق فهو منافق .

(**وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** في الآية رد على المرجئة ، لأن الله مدح من استغفر لذنبه ولم يصر عليه ، فمفهومه ذم من لم يفعل ذلك .

(**عن زُبَيْدٍ**) بن الحارث بن عبد الكريم اليامي ، ثقة ثبت عابد .

(**سألت أبا وائل**) شقيق بن سلمة .

(**سباب**) السباب بمعنى السب وهو الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه .

(**فسوق**) الفسق في اللغة الخروج ، وفي الشرع : الخروج عن طاعة الله ، وهو أشد من العصيان ، قال تعالى (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) .

(**وقتاله كفر**) أي :من أعمال أهل الكفر ، قال بعض العلماء : أطلق عليه لفظ الكفر مبالغة في التحذير لينزجر السامع عن الإقدام عليه .

١- في الحديث رد على المرجئة .

٢- الحديث دليل على أن بدعة الإرجاء قديمة .

٣- عظم حرمة المسلم .

٤- تحريم لعن المسلمين وشتمهم .

قال رسول الله ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) . متفق عليه عن ابن مسعود

وقال ﷺ : (لعن المسلم كقتله) . متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك

وقال ﷺ : (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) . رواه مسلم عن أبي الدرداء .

وعن أبي مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس المسلم بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء) .

اللعن ينقسم إلى أقسام :

أ- لعن المسلم الصالح : هذا حرام ومن الكبائر :

للأحاديث السابقة .

ب- اللعن بالأوصاف العامة : مثل لعنة الله على الظالمين ، لعنة الله على الفاسقين .

هذا جائز لا خلاف فيه .

قال تعالى (لعنة الله على الظالمين) .

وقال تعالى (لعنة الله على الكاذبين) .

ج- اللعن بالأوصاف الخاصة : مثل : لعن الله آكل الربا ، لعن الله السارق .

هذا جائز بالإجماع .

د- لعن الكافر المعين الذي مات على الكفر ، مثل فرعون ، وأبي جهل وغيرهم .

هذا جائز لعنه بلا خلاف .

هـ- لعن الكافر المعين الحي : فهذا مما وقع فيه خلاف بين العلماء :

فقيل : لا يلعن .

قالوا : ربما يسلم .

وممن ذهب إلى هذا الغزالي ، وذكره الإمام النووي .

وقيل : جواز لعنه .

لحديث عمر بن الخطاب (أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ ، كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حماراً ، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأتي به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ : لا تلعنوه ، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) رواه البخاري .

قالوا : فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن .

والذي يظهر الجواز خاصة إذا كان ممن يؤذي المسلمين .

و- لعن المسلم الفاسق .

لا يجوز لعنه .

للحديث السابق ، حيث نهى النبي ﷺ عن لعن عبد الله الذي كان يشرب الخمر .

٥- أن حرمة الكافر ليست كحرمة المسلم .

٦- الرد على المرجئة .

٧- أن سب المسلم من الكبائر .

٨- أن المعاصي تقدح في الإيمان .

٩- أنه يجتمع في المسلم خصال خير وخصال شر .

١٠- تحريم مقاتلة المسلم بغير حق .

١١- أن مقاتلة المسلم بغير حق من الكبائر .

٤٩- عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ « إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمُ الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْس) .

(**عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ**) عبادة بن الصامت : هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري ، شهد بدراً وما بعدها ، مات بالرملة سنة (٣٤) هـ .

(**خرج يخبر بليلة القدر**) أي بتعيين ليلة القدر .

(**ليلة القدر**) قال النووي : قال العلماء: وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة كقوله تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ، وقيل: سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها .

(**فتلاحى فلان وفلان**) أي وقعت بينهما ملاحاة ، وهي المخاصمة والمنازعة والمشاتمة ورفع الأصوات ، وقد جاء عند مسلم من حديث أبي سعيد في هذه القصة (فجاء رجلان يحتقان) بتشديد القاف أي : يدعي كل منهما أنه المحق (معهما الشيطان فنسيتها) ، فإن قيل : كيف تكون المخاصمة في طلب الحق مذمومة ؟ قلت : إنما كانت كذلك لوقوعها في المسجد وهو محل الذكر لا اللغو .

(**فرفعت**) قال ابن كثير : أي رفع علم تعيينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، لأنه قال بعد هذا : فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة .

(**وعسى أن يكون خيراً**) أي وإن كان عدم الرفع أزيد خيراً وأولى منه ، لأنه متحقق فيه ، لكن في الرفع خير مرجو لاستلزامه مزيد الثواب ، لكونه سبباً لزيادة الاجتهاد في التماسها .

وقال ابن كثير : وعسى أن يكون خيراً : يعني عدم تعيينها لكم, فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محالِّ رجائها فكان أكثر للعبادة, بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط. وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها, ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده . تفسير ابن كثير. ٥٣٤/٤

(**فالتمسوها**) أي اطلبوها .

١- أدخل البخاري هذا الحديث في هذا الباب – والله أعلم – لأن رفع ليلة القدر كان بسبب تلاحيهما ورفعهما الصوت بحضرة الشارع ، ففيه ذم الملاحاة ونقص صاحبها .

٢- أن ليلة القدر موجودة ولم ترفع ، ففيه الرد على من قال إنها رفعت .

قال النووي : قال القاضي: وشذ قوم فقالوا: رفعت ، لقوله ﷺ : حين تلاحا الرجلان فرفعت ، وهذا غلط من هؤلاء الشاذين، لأن آخر الحديث يرد عليهم فإنه ﷺ قال : فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في السبع والتسع وهكذا هو في أول صحيح البخاري ، وفيه التصريح بأن المراد برفعها رفع بيان علمها ، ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها .

٣- أن ليلة القدر لا تعرف بعينها ، لكن العلماء اختلفوا في تحديدها :

فقيل : إنها رفعت أصلاً ، وهذا باطل كما سبق .

وقيل : إنها ممكنة في كل السنة ، وهذا قول ابن مسعود ، ولعل مأخذه أراد أن لا يتكل الناس .

روى مسلم في صحيحه عن زر بن حبيْش قال : سألت أبي بن كعبٍ ، فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصبْ ليلة القدر ، فقال : رحمه الله ، أراد أن لا يتكل الناس ، أما إنه قد علم أنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر وأنها ليلة سبع وعشرين .

وقيل : إنها أول ليلة من العشر ، وإليه مال الشافعي ، وجزم به جماعة من الشافعية .

وقيل : إنها ليلة سبع وعشرين ، وهذا عليه جمع من الصحابة ، وكان أُبي بن كعب يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين لقوله ﷺ : من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين .

وقيل : إنها في أوتار العشر الأواخر ، وبوب عليه البخاري فقال : باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر .

ومما يدل على هذا :

قوله ﷺ (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) رواه البخاري .

وقوله ﷺ (ابتغوها في العشر الأواخر وابتغوها في كل وتر) .

وعن ابن عمر . قال : قال رسول الله ﷺ (أرى رؤياكم في العشر الأواخر فاطلبوها في الوتر منها) رواه مسلم .

وهذا الراجح : أنها في العشر الأواخر ، وآكد العشر أوتارها ، وأرجح الأوتار ليلة سبع وعشرين .

قال بن قدامة : يستحب طلبها في جميع ليالي رمضان وفي العشر الأواخر آكد ، وفي ليالي الوتر منه آكد .

٤- قال القاضي عياض : فيه أن المخاصمة مذمومة ، وأنها سبب في العقوبة المعنوية أي الحرمان .

٥- وفيه أن المكان الذي يحضره الشيطان ترفع منه البركة والخير .

٦- الإيمان بالنبوة .

٧- رد على المرجئة : أن المعاصي لا تضر – وهنا ليلة القدر رفعت بسبب المخاصمة .

٨- حرصه ﷺ على نفع أمته .

٩- أن ليلة القدر لا تكون بالنهار ، وإنما بالليل .

١٠- الإيمان يزيد وينقص .

١١- ليلة القدر كانت معلومة من قبل للنبي ﷺ .

١٢- أن رفع ليلة القدر كان خيراً .

١٣- كل بلاء فسببه المعاصي .

فائدة : سبب الرفع :

في حديث الباب أن سبب الرفع التلاحي والمخاصمة .

وجاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَال (أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَيْقَظَنِي بَعْضُ أَهْلِي فَنُسِّيتُهَا فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْغَوَابِرِ) .

والجمع : إما أنه يحمل على التعدد ، أو يكون المعنى : أيقظني بعض أهلي فسمعت تلاحي الرجلين فقمت لأحجز بينهما فنسيتها للاشتغال بهما .

٣٧- باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان

٥٠-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْماً لِلنَّاسِ ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الإِيمَانُ قَالَ « الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ » . قَالَ مَا الإِسْلاَمُ قَالَ « الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤَدِّىَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ » . قَالَ مَا الإِحْسَانُ قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . قَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ » . ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الآيَةَ . ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ « رُدُّوهُ » . فَلَمْ يَرَوْا شَيْئاً . فَقَالَ « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ » . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ) .

[م / ٩٧] .

(**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْماً لِلنَّاسِ**) أي : ظاهراً لهم غير محجب عنهم ولا ملتبس بغيره .

(**فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ**) وفي رواية (فأتاه رجل) وفي التفسير للمصنف (إذ أتاه رجل يمشي) ولمسلم من حديث عمر (بينما نحن ذات يوم عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) وفي رواية ابن حبان (سواد اللحية).

(**فَقَالَ مَا الإِيمَانُ**) فإن قيل ؟ كيف بدأ بالسؤال قبل السلام ؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون ذلك مبالغة في التعمية لأمره ، أو ليبين أن ذلك غير واجب ، أو سلّم فلم ينقله الراوي .قلت : وهذا الثالث هو المعتمد ، فقد ثبت في رواية أبي فروة (فقال السلام عليك يا محمد) .

(**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ الخ**) دل الجواب أنه علم أنه سأله عن متعلقاته لا عن معنى لفظه .

(**وَمَلاَئِكَتِهِ**) الإيمان بالملائكة هو التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله تعالى (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) .

وعند المصنف في التفسير (**وكتبه**) والإيمان بالكتب التصديق بأنها كلام الله وأن ما تضمنته حق .

(**وَبِلِقَائِهِ**) قيل : إنها مكررة لأنها داخلة في الإيمان بالبعث ، والحق أنها غير مكررة ، فقيل المراد بالبعث القيام من القبور ، والمراد باللقاء ما بعد ذلك ، وقيل : اللقاء يحصل بالانتقال من دار الدنيا والبعث بعد ذلك .

(**وَرُسُلِهِ**) الإيمان بالرسل التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله .

(**وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**) وهو القيام من القبور للحساب والجزاء ، وعند مسلم من حديث عمر (واليوم الآخر) والمراد به التصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار .

(**مَتَى السَّاعَةُ**) أي : متى تقوم الساعة .

(**وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا**) أي : عن علاماتها .

(**إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا**) **قال النووي** : جاء في رواية : ربها ، وفي أخرى : بعلها ، قال الأكثرون من العلماء : هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها .

(**وَإِذَا تَطَاوَلَ**) أي : تفاخروا في تطويل البنيان وتكاثروا به .

(**فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ**) أي : علم الساعة داخل في جملة خمس .

(**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ**) وعند النسائي (ليعلمكم أمر دينكم) أي وقواعد دينكم ، وإسناد التعليم لجبريل مجازي، لأنه كان السبب في الجواب .

١- الحديث دليل على استحباب السؤال في العلم .

وقد قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

وقد قيل : السؤال نصف العلم .

٢- استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعاً إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه .

وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث في أوله (كان رسول الله ﷺ يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو , فطلبنا إليه أن نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه , قال : فبنينا له دكاناً من طين كان يجلس عليه) .

٣- الحديث دليل على أنه ينبغي لمن حضر مجلس علم، ورأى أن الحاضرين بحاجة إلى معرفة مسألة ما ولم يسأل عنها أحد ، أن يسأل هو عنها – وإن كان هو يعلمها – لينتفع أهل المجلس بالجواب ، فقد كان غرض جبريلَ عليه السلام من أسئلته هذه أن يتعلم المسلمون ، وهذا ما بينه النبيُّ ﷺ بقوله : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أتاكم يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم ، وفي رواية أبي هريرة عند البخاري ومسلم : (هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا) .

٤- الحديث دليل على أنه ينبغي للسائل حسن الأدب بين يدي معلمه ، وأن يرفق في سؤاله . قاله النووي

و يشهد لهذا ما في رواية عطاء بن السائب عن يحيى بن يعمر (فقال أدنو يا رسول الله ؟ قال نعم , فدنا , ثم قام فتعجبنا لتوقيره رسول الله ثم قال أدنو يا رسول الله ؟ قال نعم , فدنا حتى وضع فخذه على فخذ رسول الله ﷺ .

وفي رواية علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابن عمر عند أحمد : ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا .

قال الشافعي : لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح لكن من طلبه بذل النفس و ضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح .

و قال عبد الله بن المعتز : المتواضع في طلب العلم أكثرهم علماً كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء .

٥- جاء في حديث عمر عند مسلم (فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْه) .

قيل : معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه وجلس على هيئة المتعلم .

وقيل : معناه وضع كفيه على فخذي النبي ﷺ .

وهذا الصحيح لحديث أبي هريرة وأبي ذر عند النسائي (... إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهاً ، وأطيب الناس ريحاً، كأن ثيابه لم يمسّها دَنَس، حتى سلم في طرف البساط ، فقال : السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام، قال: أدْنو يا محمد ؟ قال: ادْنُهْ ؟ فما زال يقول : ادنو , مراراً ويقول له : ادن ، حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ) .

- واختلف العلماء في الحامل له على ذلك : والصحيح أن الحامل له على ذلك : الإيغال في التعمية لئلا يعرف ، فإن هذا فعل جفاة الأعراب ، وأما قول من قال : إنه فعل ذلك كحال المؤدب ، فإن ذلك ليس حال المؤدب .

٦- الحديث دليل على أن الملَك يجوز أن يتمثل لغير النبي ﷺ فيراه ، ويتكلم بحضرته وهو يسمع ، وقد ثبت عن عمران بن حصين أنه كان يسمع كلام الملائكة .

٧- الحديث دليل لجمهور أهل السنة على أن الإسلام غير الإيمان ، (وهذا عند الاجتماع) .

فالإسلام هو الأعمال الظاهرة ، والإيمان هو الأعمال الباطنة .

لقوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) .

فهذه الآية أثبت لهم الإسلام ونفت عنهم الإيمان مما يدل على أن مرتبة الإيمان أعلى .

فالمراد بقوله (أسلمنا) أي : دخلنا في الإسلام على القول الصحيح في معنى الآية ، والدليل على أن المراد به الإسلام وليس الاستسلام قوله (وإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً) فدل على أنهم إذا أطاعوا الله ورسوله مع هذا الإسلام ، آجرهم الله على الطاعة .

قال ابن كثير : استفيد من هذه الآية أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

ولحديث الباب ، وهو من أهم الأدلة على ذلك .

٨- فضل الإحسان وعلو منزلته ، وهو على مرتبتين كما قال ﷺ (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)

قال ابن رجب : فأشار إلى مقامين :

أحدهما : أن يعبد العبد ربه مستحضراً لرؤية الله إياه ويستحضر قرب الله منه واطلاعه عليه ، فيخلص له العمل ، ويجتهد في إتقانه وتحسينه .

والثاني : أن يعبده على مشاهدته إياه ، فيعامله معاملة حاضر لا معاملة غائب ، وقد وصى النبي ﷺ رجلاً (أن يصلي صلاة مودع) يعني أن يستشعر أن يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة أخرى ، فيحمله ذلك على إتقانها وتكميلها .

فالإحسان : هو إتقان الباطن والظاهر بعبادة الله على وجه المشاهدة أو المراقبة .

- فالإحسان : أن يأتي بالعمل حسناً متقناً لا نقص فيه ولا وصم ، وإحسان العمل لا يمكن إلا بمراقبة خالق هذا الكون .

والإحسان في الشرع له معنيان على حسب تصريفه اللغوي :

أحدهما : إيصال النفع ، ومحله المخلوق لا الخالق . ويشمل جميع أنواع البر والعطف .

والثاني : إتقان العمل وإيجادة الشيء ، ومحله الخالق والمخلوق ، فهو نوعان :

أحدهما : الإحسان مع الخالق : وحدّه ما ذكره النبيﷺ في هذا الحديث ، وحقيقته كما سبق : إتقان الظاهر والباطن على مشاهدة المشاهدة والمراقبة .

والآخر : الإحسان إلى المخلوق بأداء حقوقه إليه .

- قال الشنقيطي : فسر النبي ﷺ الإحسان بقوله لما سأله جبريل ما الإحسان ؟ (أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه مسلم .

وسؤال جبريل هذا ليعلم أصحاب النبي ﷺ معنى الإحسان ، وأن إحسان العمل إنما يكون لمن راقب الله وعلم يقينياً أن الله مطلع عليه .

لأن الإحسان هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق ، وأنه سبحانه يختبر عباده في إحسانهم للعمل .

كما قال تعالى في أول سورة هود (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) . ولم يقل أيكم أكثر عملاً .

وقال تعالى في أول سورة الكهف (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) ثم بيّن الحكمة بقوله (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) .

وقال تعالى في أول سورة الملك (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) ثم بيّن الحكمة فقال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) .

وقال ﷺ لمعاذ (إني أحبك في الله ، فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) رواه أبو داود .

وفي حديث شداد بن أوس قال : سمعت النبي ﷺ يقول (إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا أنتم هؤلاء الكلمات : .... وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ..) رواه أحمد .

- وكان السلف يوصون بإتقان العمل وتحسينه دون مجرد الإكثار منه ، فإن العمل القليل مع التحسين والإتقان أفضل من الكثير مع عدم الإتقان .

قال بعض السلف : إن الرجلين ليقومان في الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض .

٩- جاء في حديث عمر عند مسلم قوله (وأن تؤمن بالقدر خيرِهِ وشره) فهل في القدر شر ؟

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله : ليس في القدر شر ، وإنما الشر في المقدور ، يعني ليس فعل الله وتقديره شراً ، الشر في مفعولات الله لا في فعله ، والله لم يقدر هذا الشر إلا لخير .

كما قال تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) هذا بيان سبب الفساد .

وأما الحكمة فقال (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) ، إذاً هذه مصائب مآلها الخير .

١٠- الحديث دليل على أن حسن السؤال من أسباب تحصيل العلم .

قيل لابن عباس : بما بلغت العلم ؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول .

وقال الزهري : العلم خزانة مفتاحها المسألة .

وسئل الأصمعي : بما نلت ما نلت ؟ قال : بكثرة سؤالي ، وتلقفي الحكمة الشرود .

١١- الحديث دليل على مشروعية الرحلة في طلب الحديث .

ورحل جابر بن عبد الله شهراً كاملاً في مسألة .

وكان سعيد بن المسيب **يقول** : إن كنت لأسهر الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد .

١٢- الحديث دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب .

١٣- الحديث دليل على أنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم .

وقد سئل ﷺ عن أحب البقاع إلى الله ؟ فقال : (لا أدري) .

وقد قالت الملائكة (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) .

وقال ﷺ كما في حديث جبريل : (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل) .

وقال ابن مسعود : من كان عنده علم فليقل ، ومن لم يكن عنده علم فليقل : الله أعلم . وسئل الشعبي عن شيء فقال : لا أدري ، فقيل له : ألا تستحيي من قولك لا أدري وأنت فقيه العراقين ؟

فقال : لكن الملائكة لم تستح حين قالت سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .

وقال البراء : لقد رأيتُ ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم أحد إلا وهو يحبُّ أن يكفيَه صاحبُه الفتوى .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : أدركتُ عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله يسأل أحدهم عن المسألة فيردها إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وقال ابن وهب : وكنت أسمعه – أي مالكاً – كثيراً ما يقول : لا أدري ، ولو كتبنا عن مالك لا أدري لملأنا الألواح .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله .

وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم .

وعن عقبة بن مسلم قال : صحبت ابن عمر أربعةً وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول : لا أدري ، ثم يلتفت فيقول : أتدري ما يريدون هؤلاء ؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم .

قال ابن عيينة : أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً .

وقال مالك : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون من أهل المدينة .

قال ابن القيم : وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا قال الله تعالى (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) .

وقيل : ينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري لكثرة ما يقولها .

قال ابن جماعة : واعلم أن قول (لا أدري) لا يضع من قدر العالم كما يظنه بعض الجهلة ، بل هي رفعة له ، لأنه دليل على عظم محله وعلى ورعه وعلى تقواه وعلى طهارة قلبه ، إنما يأنف من قول (لا أدري) من ضعفت ديانته وقلت معرفته .

وقد أدب الله العلماء بقصة موسى مع الخضر حيث لم يرد موسى العلم إلى الله تعالى لما سئل: هل أحد في الأرض أعلم منك؟

١٤- الحديث دليل على إجابة السائل بأكثر مما سأل .

فإن النبي ﷺ لما أجاب السائل عن الساعة ؟ بجواب جامع ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، لم يكتف بذلك وإنما زاده أن بين له بعض أماراتها ، فقال : وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ ، فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ "، ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَة) .

١٥- الحديث دليل على أنه لا يدري أحد متى الساعة ، وقد استأثر الله بعلمها ، فلم يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً.

قال تعالى (يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله) .

وقال تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها) .

قال ابن كثير: أي ليس علمها إليك، ولا إلى أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلى الله، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين).

لكن هي قريبة : قال تعالى (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) .

وقال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) .

١٦- أن للساعة علامات تدل على قربها .

وعلامات الساعة تنقسم إلى قسمين :

أشراط صغرى .

وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة ، وتكون من نوع المعتاد ، كقبض العلم ، وظهور الجهل ، وشرب الخمر ، والتطاول في البنيان .

أشراط كبرى .

وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة ، وتكون غير معتادة الوقوع ، كظهور الدجال ، ونزول عيسى ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها .

١٧- قوله (أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا) اختلف في معناها ؟

قال النووي : جاء في رواية : ربها ، وفي أخرى : بعلها ، قال الأكثرون من العلماء : هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها .

وهذا أقوى الأقوال : أن يكثر التسري (اتخاذ الإماء) فيكون ولد الأمَة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بأبيه ، وقيل : أن تستخدم الأم كالأمَة ورجحه الحافظ ابن حجر .

فائدة : اختلف لما خص النبي ﷺ هاتين العلامتين فقط ؟

قيل : لأنهما من أول ما يظهر في الناس .

وقيل : تحذيراً للحاضرين .

وقيل : لأن البلية تقع بهما فيتسع هذا الأمر في الخلق .

١٨- قوله (وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ) جاء عند مسلم من حديث عمر (وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) .

(**الحفاة**) جمع حاف ، وهو من لا نعل له في رجليه (**العراة**) جمع عار ، وهو من لا ثياب على جسده .(**العالة**) جمع عائل ، وهو الفقير (**رعاء الشاء**) جمع راع ، وهو الحافظ ، والشاء : جمع شاة ، وهي واحدة الضأن ، وإنما خص رعاء الشاء بالذكر لأنهم أضعف أهل البادية وقد جاء في حديث أبي هريرة (إذا رأيت الرعاء البهم) وعند البخاري (وإذا تطاول الإبل البهم) .

قال القرطبي : المقصود الإخبار عن تبدل الحال ، فاستولى أهل البادية على الأمر ، وتملكوا البلاد بالقهر ، فتكثر أموالهم وتنصرف همومهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به ، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان .فمن علامات الساعة : أي يتفاخرون في طول بيوتهم ورفعتها ، يعني من علامات القيامة أن ترى أهل البادية ممن ليس لهم لباس ولا نعل بل كانوا رعاء الإبل والشاء يتوطّنون البلاد ، ويتخذون العقار ، ويبنون الدور والقصور المرتفعة .

١٩- قوله ﷺ (أتاكم يعلمكم دينكم) فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً .

فائدة : قال القرطبي : هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة , لما تضمنه من جمل علم السنة .

٢٠- أن العالم قد ينتقل بالمسؤول إلى ما ينفعه ، لأنه سأله عن الساعة ، فأخبره بأشراطها .

٢١- إثبات لقاء المؤمنين لربهم يوم القيامة .

٣٨- باب

٥١- عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ (أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ سَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ . وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ، فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ، لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ) .

١- الحديث تقدم شرحه : وهو دليل على أن الإيمان يسمى ديناً لقوله (وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ... وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ) .

فإن قيل : لا حجة فيه ، لأنه منقول عن هرقل ؟ فالجواب : أنه ما قاله من قِبل اجتهاده ، وإنما أخبر به عن استقرائه من كتب الأنبياء .

٢-أن الإيمان إذا خالط القلب وذاق طعمه فإنه لا يرتد صاحبه غالباً .

٣- أن للإيمان حلاوة ، وكما تقدم حديث (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ..) .

٤-الحرص على معرفة الأسباب التي تجلب حلاوة الإيمان وتزيده .

٣٩- باب فضل من استبرأ لدينه

٥٢ - عن النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ . أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . أَلاَ وَهِيَ الْقَلْب) .

[مسلم : ١٥٩٩] .

(**بيّن**) ظاهر .

(**مشتبهات**) جمع مشتبه ، وهي المشكل لما فيه من عدم الوضوح في الحل أو الحرمة .

(**لا يعلمهن**) لا يعلم حكمها .

(**اتقى الشبهات**) ابتعد عنها .

(**لدينه**) أي عن النقص .

(الحمَى) المحمي .

(**يرتع**) أي تأكل ماشيته منه .

(**محارمه**) المعاصي .

١- قسم النبي عليه الصلاة والسلام الأمور إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : حلال واضح لا يخفى حله ،كأكل الخبز ، والمشي .

القسم الثاني : حرام واضح ،كالخمر والزنا والغيبة .

القسم الثالث : مشتبه : يعني ليست بواضحة الحل أو الحرمة .

فهذه لا يعرفها كثير من الناس ، أما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس .

قال ابن رجب : معنى الحديث : أن الحلال المحض بيّن لا اشتباه فيه ، وكذلك الحرام المحض ، ولكن بين الأمرين أمور تشتبه على كثير من الناس ، هل هي من الحلال أم من الحرام ؟ أما الراسخون في العلم فلا تشتبه عليهم ذلك ، ويعلمون من أيّ القسمين هي .

فقوله ﷺ في المشتبهات (لا يعلمهن كثير من الناس) دليل على أن من الناس من يعلمها ، وإنما هي مشتبهة على من لم يعرفها، وليست مشتبهة في نفس الأمر .

٢- الحديث دليل على أن من اشتبه عليه أمر من الأمور فالأفضل والأكمل أن يتقي هذا الأمر المشتبه فيه .

لأن ذلك أسلم لدينه وعرضه .

ومعنى (استبرأ) أي : طلب البراءة لدينه من النقص ، ولعرضه من الشيْن .

٣- الحديث قسّم الناس في الأمور المشتبهة إلى قسمين :

الأول : من يتقي هذه الشبهات ، لاشتباهها عليه ، فهذا قد استبرأ لدينه وعرضه .

والثاني : من يقع في الشبهات مع كونها مشتبهة عنده ، فهذا قد أخبر النبي ﷺ أنه قد وقع في الحرام .

٤- الحديث دليل على أن من ارتكب الشبهات ، فقد عرضه نفسه للقدح فيه والطعن .

كما قال بعض السلف : من عرّض نفسه للتهم ، فلا يلومن من أساء الظن به .

وعند الترمذي (فمن تركها ، استبراءً لدينه وعرضه ، فقد سلِم) والمعنى : أنه يتركها بهذا القصد – وهو براءة دينه وعرضه من النقص – لا لغرض آخر فاسد من رياء ونحوه .

٥- الحديث دليل على أن طلب البراءة للعرض ممدوح كطلب البراءة للدين .

وقد جاء في رواية في الصحيحين في هذا الحديث (فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم ، كان لما استبان أترك) .

يعني : أن من ترك الإثم مع اشتباهه عليه ، وعدم تحققه ، فهو أولى بتركه إذا استبان له أنه إثم .

٦- قوله ﷺ (ومن وقع في الشبهات) جاء في مسلم (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) وقد اختلف العلماء في معنى قوله ﷺ (من وقع في الشبهات وقع في الحرام) على قولين :

الأول : أن يكون ارتكابه للشبهة مع اعتقاده أنها شبهة ذريعة إلى ارتكابه الحرام الذي يعتقد أنه حرام بالتدرج والتسامح .

ويعضد هذا المعنى ما روي في الصحيحين (ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم أو شك أن يواقع ما استبان) .

والمعنى الثاني : أن من أقدم على ما هو مشتبه عنده لا يدري أهو حلال أو حرام، فإنه لا يأمن أن يكون حراماً في نفس الأمر، فيصادف الحرام وهو لا يدري أنه حرام .

ويعضد هذا ما في رواية ابن عمر للحديث، وفيه: (فمن اتقاها – أي المشتبهات – كان أنزه لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات أوشك أن يقع في الحرام) .

٧- شبه النبي ﷺ الذي يقع في الشبهات بالراعي يرعى بغنمه وإبله حول الحمى ، أي حول المكان المحمي ، يوشك ويقرب أن يقع فيه ، لأن البهائم إذا رأت الأرض المحمية مخضرة مملوءة من العشب فسوف تدخل هذه القطعة المحمية ، كذلك المشتبهات إذا حام حولها العبد فإنه يصعب عليه أن يمنع نفسه عنها .

٨- الحديث دليل على أن من أسباب النجاة من الوقوع في الحرام الورع والابتعاد عن الشبهات .

قال أبو الدرداء : تمام التقوى أن يتقي العبد ربه ، حتى يتقيه من مثقال ذرة .

وقال الحسن البصري : ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الوقوع بالحرام .

وقال الثوري : إنما سموا متقين ، لأنهم اتقوا ما لا يتقى .

٩- حكمة الله في ذكر المشتبهات حتى يتبين من كان حريصاً على طلب العلم ومن ليس بحريص .

١٠- أنه لا يمكن أن يكون في الشريعة ما لا يعلمه الناس كلهم .

١١- حسن تعليم النبي ﷺ بضرب الأمثال المحسوسة ليتبين بها المعاني المعقولة .

١٢- الحديث دليل على أنه يجب على الإنسان أن يهتم بقلبه ، لأن مدار الصلاح والفساد عليه ، فإذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد .

قال ابن حجر : وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب ، والحث على صلاحه ، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه .

- وصلاح القلب يكون باستقامة على طاعة الله .
- قال ابن القيم : استقامة القلب بشيئين :

أحدهما : أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب ، فإذا تعارض حب الله وحب غيره ، سبق حب الله حب ما سواه ، وما أسهل هذا بالدعوى ، وما أصعبه بالفعل .

الثانية : تعظيم الأمر والنهي ، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر والناهي .

فعلامة تعظيم الأوامر : رعاية أوقاتها وحدودها ، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها ، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها والمسارعة إليها عند وجوبها ، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها .

وعلامات تعظيم المناهي : الحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها .

وأن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه ، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عصى الله في أرضه .

وأن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً غير مستقيم على المنهج الوسط . [الوابل الصيب] .

- ويجب دعاء الله بإصلاحه وتثبيته .

فقد كان ﷺ يدعو : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك .

وكان قسم النبي ﷺ : لا ، ومقلب القلوب .

- وتتفاضل الأعمال عند الله بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها .
- وينبغي التحذير من التساهل في أمر القلب .

قال ﷺ : (إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) رواه مسلم .

- ولا ينفع يوم القيامة إلا القلب السليم .

قال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) .

القلب السليم : هو السالم من الشرك والبدعة والآفات والمكروهات ، وليس فيه إلا محبة الله وخشيته .

- وينبغي الدعاء بسلامة القلب .

فقد كان ﷺ يقول (اللهم إني أسألك قلباً سليماً ..) رواه أحمد .

- وأهم سبب لحياة القلب الاستجابة لله ولرسوله .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) .

١٣- من أسباب لين القلب ذكر الله .

قال تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

١٤- ومن أسباب لين القلب العطف على المسكين .

فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه ؟ فقال له الرسول ﷺ : (إذا أحببت أن يلين قلبك فامسح راس اليتيم وأطعم المسكين) رواه أحمد .

١٥- ومن أسباب رقة القلب زيارة المقابر .

قال ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة ، وترق القلب) رواه أحمد .

١٦- التحذير من قسوة القلب .

قال تعالى : (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) .

قال بعض السلف : خصلتنا تقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

وقال بعضهم : البدن إذا عري رق ، وكذلك القلب إذا قلت خطاياه أسرعت دمعته .

قال ابن القيم : مفسدات القلب : كثرة النوم ، والتمني ، والتعلق بغير الله ، والشبع ، والمنام .

وقال بعض العلماء : صلاح القلب بخمسة أشياء : قراءة القرآن بتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع بالسحر ، ومجالسة الصالحين ، وأكل الحلال .

١٧- فضل العلم والرسوخ فيه .

١٨- أن المحارم هي حمى الله في الأرض .

١٩- وفيه الإشارة إلى المحافظة على أمور الدين ومراعاة المروءة .

٢٠- أن المشبهات والدخول فيها يكون لها تأثيراً على القلوب .

٢١- وفيه دليل لقاعدة سد الذرائع .

٤٠- باب أداء الخمس من الإيمان

٥٣ – عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ (كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْماً مِنْ مَالِي ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ « مَنِ الْقَوْمُ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ » . قَالُوا رَبِيعَةُ . قَالَ « مَرْحَباً بِالْقَوْمِ – أَوْ بِالْوَفْدِ – غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى » . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلاَّ فِي شَهْرِ الْحَرَامِ ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَىُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ . وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ . فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ، أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ . قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ » . قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ » . وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ عَنِ الْحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ . وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ . وَقَالَ: احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ) .

[م / ١٧] .

(**عن أبي جمرة**) هو نصر بن عمران بن عصام ، مشهور بكنيته ، ثقة ثبت .

(**كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ**) وفي الرواية الأخرى (كنت أترجم) قال النووي : الترجمة التعبير عن لغة بلغة ، ثم قيل : إنه كان يتكلم بالفارسية ، فكان يترجم لابن عباس عمن يتكلم بها ، قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح : وعندي أنه كان يبلغ كلام ابن عباس إلى من خفي عليه من الناس ، إما لزحام منع من سماعه فأسمعهم وإما لاختصار منع من فهمه فأفهمهم أو نحو ذلك .

(**قَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ**) سبب قول ابن عباس هذا (أن امرأة جاءته تسأله عن الجر) فقد جاء عند مسلم (عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ فَقَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ...).

(**قَالُوا رَبِيعَةُ**) أي نحن ربيعة ، وفيه التعبير عن البعض بالكل ، لأنهم بعض ربيعة .

(**مَرْحَباً**) معناه صادفتَ رحباً وسعة .

(**بِالْوَفْدِ**) الوفد الجماعة المختارة من القوم ، ليتقدموهم إلى لُقي العظماء .

(**غَيْرَ خَزَايَا**) قال في الفتح : الخزيان الذي أصابه خزي .

(**إِلاَّ فِي شَهْرِ الْحَرَامِ**) المراد به جنس الأشهر الحُرُم ، وهي أربعة أشهر ، كما نص عليه القرآن العزيز ، ويؤيده رواية (إلا في أشهر الحرم) ورواية (إلا في كل شهر حرام) ، والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب .

(**وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ**) وفي الرواية الأخرى (وقد حالتْ بيننا وبينك كفار مضر ، فلا نخلُص إليك إلا في شهر الحرام) أي : لا نقدر على الوصول إليك خوفاً من أعدائنا الكفار ، إلا في الشهر الحرام ، فإنهم لا يتعرضون لنا ، كما كانت عادة العرب ، من تعظيم الأشهر الحرم ، وامتناعهم من القتال فيه ، وفيه دليل على تقدم إسلام عبد القيس على قبائل مضر الذين كانوا بينهم وبين المدينة ، وكانت مساكن عبد القيس بالبحرين وما والاها .

(**فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ**) أي : بيّن واضح الذي ينفصل به المراد ولا يشكل .

وأن تؤدوا : أي تعطوا .

(**وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ**) أي : من الغنيمة .

(**وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ عَنِ الْحَنْتَمِ**) وهي جِرار خضر .

(**وَالدُّبَّاءِ**) بضم الدال قال النووي : هو القرع اليابس ، أي الوعاء منه .

(**وَالنَّقِيرِ**) وهو الجذع ينقر وسطه .

(**وَالْمُزَفَّتِ وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ**) وهو المزفّت ، وهو المطلي بالقار ، قال النووي : وأما معنى النهي عن هذه الأربع فهو أنه نهي عن الانتباذ فيها ، وهو أن يجعل في الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب ، وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليه الإسكار فيها ، فيصير حراماً نجساً ، وتبطل ماليته ، فنهي عنه لما فيه من إتلاف المال ، ولأنه ربما شربه بعد إسكاره من لم يطلع عليه ، ثم إن هذا النهي كان في أول الأمر ثم نسخ بحديث بريدة أن النبي ﷺ قال : كنت نهيتكم عن الانتباذ إلا في الأسقية ، فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً رواه مسلم ، هذا الذي ذكرناه من كونه منسوخاً هو مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ، قال الخطابي : القول بالنسخ هو أصح الأقاويل .

١-الحديث دليل على جواز اتخاذ المترجم ، واستعانة العالم ببعض طلابه لتبليغ العلم .

٢-مشروعية الترحيب بالقادم بقوله مرحباً ، وقد حدث هذا من النبي عدة مرات :

فقال لفاطمة : مرحبا بابنتي ، وقال لأم هانئ : مرحباً بأم هانئ ، وقال لعكرمة : مرحباً بالراكب المهاجر .

٣- الحديث دليل على مشروعية سؤال الإنسان عن القادم حتى ينزله منزلته .

٤- الحديث دليل على تقديم الاعتذار بين يدي المسألة .

٥- الحديث دليل على فضل التوحيد وأنه أول الواجبات وأهمها .

٦- الحديث دليل على وجوب تبليغ العلم .

٧- الحديث دليل على أن الإيمان إذا أفرد شمِل الإسلام .

قال ابن رجب رحمه الله في شرح حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والتفريق بينهما فقال رحمه الله :

وأما وجهُ الجمعِ بينَ هذه النُّصوص [كحديث الباب حيث فسر الإيمان بالأعمال] وبينَ حديثِ سُؤال جبريلَ عليه السلام عَنِ الإسلامِ والإيمانِ، وتفريق النَّبيِّ ﷺ بينهما، وإدخاله الأعمالَ في مُسمَّى الإسلامِ دونَ مُسمَّى الإيمانِ، فإنَّه يتضح بتقريرِ أصلٍ، وهو :

أنّ مِنَ الأسماءِ ما يكونُ شاملاً لمسمّياتٍ مُتعدّدةٍ عندَ إفرادِه وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعضِ تلك المسمَّياتِ، والاسمُ المقرونُ به دالٌّ على باقيها، وهذا كاسم الفقيرِ والمسكينِ، فإذا أُفردَ أحدُهما دخل فيه كلُّ مَنْ هو محتاجٌ، فإذا قُرن أحدُهما بالآخر دلَّ أحدُ الاسمين على بعضِ أنواعِ ذوي الحاجاتِ، والآخر على باقيها، فهكذا اسمُ الإسلامِ والإيمانِ: إذا أُفرد أحدُهما ، دخل فيه الآخر ، ودلّ بانفرادِه على ما يدلُّ عليه الآخرُ بانفراده ، فإذا قُرِنَ بينَهُما دلّ أحدُهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفرادِه ، ودلَّ الآخر على الباقي .

ثم قال رحمه الله : ويدلُّ على صحَّةِ ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ فَسَّرَ الإيمانَ عند ذكرِه مفرداً في حديث وفد عبدِ القيسِ بما فسّر به الإسلامَ المقرونَ بالإيمانِ في حديثِ جبريلَ ، وفسَّر في حديثٍ آخرَ الإسلامَ بما فسّر به الإيمانَ ،كما في " مسند الإمام أحمد عن عمرو بن عَبسة ، قال : جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما الإسلامُ ؟ قال : (أنْ تُسْلِمَ قلبَكَ للهِ ، وأنْ يسلمَ المسلمونَ مِنْ لِسَانِكَ ويَدكَ) ، قال: فأي الإسلام أفضلُ؟ قال: (الإيمان) . قال: وما الإيمان؟ قال: (أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وملائكته ، وكُتبِهِ ، ورُسلِه ، والبعثِ بعدَ الموتِ) . قال : فأيُّ الإيمانِ أفضلُ ؟ قال : (الهِجْرَةُ) . قال : فما الهجرةُ ؟ قال : (أن تَهجُر السُّوءَ) ، قال : فأيُّ الهِجْرةِ أفضلُ ؟ قال : (الجهاد) . فجعل النَّبيُّ ﷺ الإيمانَ أفضلَ الإسلامِ ، وأدخلَ فيه الأعمالَ .

وبهذا التَّفصيل يظهرُ تحقيقُ القولِ في مسألةِ الإسلامِ والإيمانِ : هل هما واحدٌ ، أو هما مختلفان ؟

٨- جواز قول رمضان من غير إضافة كلمة شهر .

٩- مشروعية السؤال عن الأسباب التي تدخل الجنة .

١٠- الحرص على نفع الآخرين .

١١- فضل ابن عباس ومكانته من العلم .

١٢- مشروعية الرحلة في طلب العلم .

١٣- جاء في رواية مسلم (وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ) .

وفي هذه القطعة من الفوائد :

فضل الأشج أشج عبد القيس ، وفضل الحلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب .

وفضل الحكمة في الأمور ،كما سبق في سبب مدح النبيﷺ للأشج لحكمته ، وفضل التأني وعدم العجلة . وقد ذكر العلماء أن العجلة مذمومة إلا في خمسة أشياء :

تعجيل التوبة ، تزويج البكر ، سداد الدين ، والصلاة إذا حضرت ، والجنازة إذا حضرت .

وبهذا يعلم أن العجلة مذمومة إلا ما كان من أمر الآخرة .

كما قال تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) .

وقال ﷺ (التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة) رواه أبو داود .

٤١- باب مَا جَاءَ أَنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى

فَدَخَلَ فِيهِ الإِيمَانُ وَالْوُضُوءُ وَالصَّلاَةُ

٥٤ –عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) .

[م / ١٩٠٧] .

٥٥–عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ) .

[م / ١٠٠٢ بلفظ (إن المسلم)] .

٥٦– عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ) .

[م / ١٦٢٨] .

(**على أهله**) أهل الرجل امرأته ، قال في الفتح : (الأهل) يحتمل أن يشمل الزوجة والأقارب ، ويحتمل أن يخص الزوجة ، ويُلحق بها من عداها بطريق الأولى ، لأن الثواب إذا ثبت فيما هو واجب ، فثبوته فيما ليس بواجب أولى .

(**وهو يحتسبها**) أي والحال أنه يقصد بها الاحتساب وهو طلب الثواب .

(**كانت له صدقة**) أي يثاب عليها كما يثاب على الصدقة .

(**نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا**) أي : تطلب بها .

١– الحديث دليل على أهمية النية في العمل ، وأنها سبب في مضاعفة الحسنات .

٢– الحديث دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يحتسب في كل عمل عمله النية الصالحة ، فإن المباحات تنقلب بالنيات طاعات

قال النووي رحمه الله في شرح حديث (أيأتي أحدنا شهوته .....) وَفِيهِ: أَنَّ الْمُبَاح إِذَا قَصَدَ بِهِ وَجْه اللَّه تَعَالَى صَارَ طَاعَة، وَيُثَاب عَلَيْهِ، وَقَدْ نَبَّهَ ﷺ عَلَى هَذَا بِقَوْلِه ﷺ : حَتَّى اللُّقْمَة تَجْعَلهَا فِي فِي اِمْرَأَتك. لِأَنَّ زَوْجَة الْإِنْسَان هِيَ مِنْ أَخَصّ حُظُوظه الدُّنْيَوِيَّة وَشَهَوَاته وَمَلَاذه الْمُبَاحَة، وَإِذَا وَضَعَ اللُّقْمَة فِي فِيهَا فَإِنَّمَا يَكُون ذَلِكَ فِي الْعَادَة عِنْد الْمُلَاعَبَة وَالْمُلَاطَفَة وَالتَّلَذُّذ بِالْمُبَاحِ، فَهَذِهِ الْحَالَة أَبْعَد الْأَشْيَاء عَنْ الطَّاعَة وَأُمُور الْآخِرَة، وَمَعَ هَذَا فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ إِذَا قَصَدَ بِهَذِهِ اللُّقْمَة وَجْه اللَّه تَعَالَى، حَصَلَ لَهُ الْأَجْر بِذَلِكَ، فَغَيْر هَذِهِ الْحَالَة أَوْلَى بِحُصُولِ الْأَجْر إِذَا أَرَادَ وَجْه اللَّه تَعَالَى...

وقال الشيخ ابن عثيمين : إذا فعل المباح ولم ينوِ أنه عبادة فليس فيه أجر، إلا إذا كان فيه نفع متعدٍ، مثل: أن يطعم الإنسان أهله الذين تجب عليه نفقتهم فيطعمهم، فهنا قد لا يستحضر النية ويكون له الأجر، وكذلك من زرع حباً أو غرس نخلاً فأصاب منه طير أو دابة أو إنسان فإنه يكتب له الأجر.

ولذلك ابن عباس –رضي الله عنهما– يقول : أحتسب على الله نومتي، كما أحتسب على الله قومتي.

ولهذا قال بعض أهل العلم: عبادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات .

قَال عَبدُ اللَّه بنُ الإمَام أحمد لِأبيه يومًا : أوصني يا أبتِ فقال : يَا بُني انو الخَير فإنك لا تزالُ بخير ما نَوَيْتَ الخَير .

قال ابن رجب : وقد صحَّ الحديث بأنَّ نفقة الرجل على أهله صدقة ، ففي الصحيحين : عن أبي مسعود الأنصاري ، عن النَّبيّ ﷺ ، قال (نفقةُ الرجل على أهله صدقةٌ) .

وفي روايةٍ لمسلم : (وهو يحتسبها) ، وفي لفظٍ للبخاري (إذا أنفقَ الرجلُ على أهله وهو يحتسبها ، فهو له صدقة) ، فدل على أنّه إنَّما يؤجرُ فيها إذا احتسبها عند الله كما في حديث سعد بن أبي وقاص ، عن النَّبيّ ﷺ قال (إنَّك لن تُنفِق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلاَّ أُجِرْتَ عليها ، حتَّى اللُّقمة ترفعُها إلى في امرأتك) .

وفي صحيح مسلم عن ثوبان ، عن النَّبيّ ﷺ ، قال (أفضلُ الدنانير دينارٌ ينفقُه الرَّجُل على عيالِه ، ودينارٌ ينفقه على فرسٍ في سبيل الله ، ودينارٌ ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله) قال أبو قِلابة عند رواية هذا الحديث : بدأ بالعيال ، وأيُّ رجلٍ أعظمُ أجراً من رجلٍ ينفقُ على عيالٍ له صغار يُعِفُّهم الله به ، ويُغنيهم الله به .

وفيه أيضاً عن سعد ، عن النَّبيّ ﷺ قال (إنَّ نفقتك على عيالِكَ صدقة ، وإنَّ ما تأكلُ امرأتُك من مالك صدقة) . وهذا قد ورد مقيداً في الرواية الأخرى بابتغاء وجه الله .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، عن النَّبيّ ﷺ قال (دينار أنفقتَه في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدَّقت به على مسكينٍ ، ودينارٌ أنفقته على أهلك ، أفضلُها الدِّينارُ الذي أنفقته على أهلك) .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث المقدام بن معد يكرب ، عن النَّبيّ ﷺ قال (ما أَطْعَمْتَ نفسَك ، فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدكَ ، فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك ، فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمَك ، فهو لك صدقة) .

وفي هذا المعنى أحاديثُ كثيرة يطول ذكرها .

وفي الصحيحين عن أنس ، عن النَّبيّ ﷺ قال (ما مِنْ مسلمٍ يَغرسُ غَرْساً، أو يزرعُ زرعاً ، فيأكلُ منه إنسانٌ ، أو طيرٌ ، أو دابَّةٌ، إلا كان له صدقةٌ) .

وفي صحيح مسلم عن جابر ، عن النَّبيّ ﷺ قال (ما من مسلمٍ يغرسُ غَرْساً إلا كان ما أكلَ منه له صدقة ، وما سُرِقَ منه له صدقة ، وما أَكَلَ السَّبعُ منه فهو له صدقة ، وما أكلتِ الطَّير فهو له صدقةٌ ، ولا يرزؤُه أحدٌ إلا كان له صدقة) ، وفي روايةٍ له أيضاً (فيأكل منه إنسانٌ ، ولا دابةٌ ، ولا طائرٌ إلاَّ كان له صدقة إلى يوم القيامة) .

وظاهر هذه الأحاديث كلّها يدلُّ على أنَّ هذه الأشياء تكونُ صدقة يُثاب عليها الزارعُ والغارسُ ونحوهما من غير قصدٍ ولا نيةٍ، وكذلك قولُ النَّبيّ ﷺ (أرأيت لو وضعها في الحرام ، أكان عليه وِزْرٌ ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ) يدلُّ بظاهره على أنَّه يُؤْجَرُ في إتيان أهله من غير نيَّةٍ ، فإنَّ المباضِع لأهله كالزَّارع في الأرض الذي يحرث الأرض ويبذر فيها.

وقد ذهب إلى هذا طائفةٌ من العلماء ، ومال إليه أبو محمد بن قتيبة في الأكل والشُّرب والجماع .

واستدل بقول النَّبيّ ﷺ (إنَّ المؤمنَ ليؤجَرُ في كلِّ شيءٍ حتَّى في اللُّقمة يرفعها إلى فيه) .

وهذا اللَّفظ الذي استدلَّ به غيرُ معروف ، إنَّما المعروف قولُ النَّبيّ ﷺ لسعد (إنَّكَ لن تُنفِقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلا أُجِرتَ عليها ، حتَّى اللُّقمة ترفعها إلى في امرأتك) ، وهو مقيَّدٌ بإخلاص النية لله ، فتحمل الأحاديثُ المطلقة عليه ، والله أعلم .

٣- وجوب نفقة الرجل على زوجته .

٤- أن ما ينفقه الرجل على زوجته – مع وجوبه – فإنها تسمى صدقة .

٥- أن ثواب الصدقة يحصل بالنفقة الواجبة ، فمن أنفق على أهله من غير احتساب لم يحصل له ثواب الصدقة ، وإن سقط عنه الوجوب .

٥- أن الإنسان لا يستحقر من الأعمال شيئاً .

٦- أنه رب عمل صغير تكبره النية ، ورب عمل كبير تصغره النية .

٧-إثبات الوجه لله إثباتاً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تمثيل ولا تشبيه .

٤٢-باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ (الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)

٥٧- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) [م / ٥٦] .

(**عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ**) البجلي ، صحابي جليل .

(**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ**) أي : عاهدت وعاقدت .

(**عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ**) أي : الإتيان بها على وجهها المطلوب .

(**وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**) أي : إعطاؤها لمستحقيها .

قول البخاري (**باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة**) هذا حديث أخرجه مسلم في صحيحه :

عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال (الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم) رَوَاهُ مُسْلِم .

التعريف للنصيحة شرعاً :

قيل : هي كلمة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له .

وقيل : قيام العبد بما لغيره من الحقوق ، وهذا أصوب .

فالنصيحة لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم هي : القيام بحقوقهم .

وهي باعتبار منفعتها نوعان :

أحدهما : ما منفعتها مقصودة في الأصل للناصح ، وهي النصيحة لله ولرسوله ﷺ ولكتاب الله عز وجل .

والآخر : ما منفعتها مقصودة في الأصل للناصح والمنصوح معاً ، وهي النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم .

- كيفية النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

فالنصيحة لله : تكون بالإيمان به ، ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن جميع النقائص ، والقيام بطاعته ، واجتناب معاصيه .

والنصيحة لكتابه : بقراءته وتدبره وحفظه والعمل به .

والنصيحة لرسوله : تكون بتصديق رسالته ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ونشر شريعته .

والنصيحة لأئمة المسلمين : تكون بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ، وأمرهم به وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح .

والنصيحة لعامة المسلمين : تكون بإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم ، وكف الأذى عنهم ، وتعليم ما يجهلونه من دينهم ، ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه .

- الحديث دليل على فضل النصيحة وعظم منزلتها ، وللنصيحة فضائل :

أولاً : أنها مهمة الرسل .

قال تعالى إخباراً عن نوح (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ) .

ثانياً : أن منزلتها عظيمة .

كما في حديث الباب .

ثالثاً : أنها من علامات كمال الإيمان .

كما قال ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

رابعاً : أنها من حقوق المسلم على أخيه المسلم .

قال ﷺ (للمؤمن على المؤمن ست خصال : ... وينصح له إذا غاب أو شهد) .

- ينبغي أن تسود النصيحة بين المسلمين ، فإنها من أعظم مكملات الإيمان .

سئل ابن المبارك : أي الأعمال أفضل ؟ قال : النصح لله .

وقال الفضيل : المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير .

وقال أيضاً : ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للأمة .

قال أبو بكر المزني : ما فاق أبو بكر أصحاب رسول الله بصوم ولا بصلاة ، ولكن بشيء كان في قلبه .

قال ابن علية : الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه .

وقال أبو الدرداء : إن شئتم لأنصحن لكم : إن أحب عباد الله إلى الله ، الذين يحبّبون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الأرض نصحاً .

وقال حكيم : ودّك من نصحك .

قال بعض السلف : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه .

قال عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله : كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئاً يأمره في رفق فيؤجر في أمره ونهيه ، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه فيستغضب أخاه ويهتك ستره (ص : ٩١)

- وهذا الحديث يفيد بعمومه ورواياته أنه يجب أن ينصح المسلم لأخيه المسلم في جميع جوانب الحياة وليس في جانب واحد بل دنيا وأخرى .

وجرير بن عبد الله قد بايع الرسول ﷺ على النصح لكل مسلم ، قد طبق ذلك :

فقد ذكر النووي في شرح مسلم : أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً ، فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، أتبيعه بأربعمائة درهم ؟ قال : ذلك إليك يا أبا عبد الله . فقال : فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ؟ ثم لم يزل يزيد مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها . فقيل له بذلك فقال : إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم .

هكذا يفعل صحابة الرسول ﷺ في النصح للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم ولنا فيهم أسوة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : فإن المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

- ومن أعظم النصح أن ينصح لمن استشاره في أمره .

كما قال ﷺ : (إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه) .

وكذلك النصح في الدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قالت له فاطمة بنت قيس : قد خطبني أبو جهم ومعاوية ، فقال لها : أما أبو جهم فرجل ضراب للنساء ، وأما معاوية فصعلوك لا مال له ، فبين النبي ﷺ حال الخاطبين للمرأة ، فإن النصح في الدين أعظم من النصح في الدنيا ، فإذا كان النبي ﷺ نصح المرأة في دنياها فالنصيحة في الدين أعظم .

للنصيحة آداباً :

أولاً : الإخلاص لله عز وجل .

فلابد أن يقصد بنصحه وجه الله تبارك وتعالى كما في حديث عمر (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) .

ثانياً : ألا يقصد التشهير .

ثالثاً : أن يكون النصح سراً .

قال الشافعي : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله : وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً .

قال بعضهم : من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه .

قال الشاعر :

تغمدني بنصحك في انفرادي وجنّبني النصيحةَ في الجماعة

فإن النصحَ بين الناسِ نوعٌ من التوبيخِ لا أرضى استماعه

رابعاً : أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق ولا يثقل على الناصح ولا يكثر عليه .

كما جاء في الحديث عن عائشة أن النبي ﷺ قال (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه) .

خامساً : اختيار الوقت المناسب للنصيحة .

١- تحريم الغش والخديعة .

٢- بيان مكانة النصح في الإسلام ، حيث اعتنى به الشارع فكان يبايع عليه .

٣- أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام .

٤- أهمية الزكاة وأنها تأتي بعد الصلاة في الأهمية .

٥٨- **عن زياد بن عِلاقَة قال : سمعتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ (قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ ، ثُمَّ قَالَ اسْتَعْفُوا لأَمِيرِكُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ . ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ . فَشَرَطَ عَلَىَّ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا ، وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ . ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ)** .

(**عن زياد بن عِلاقَة**) بكسر العين أبو مالك الكوفي .

(**يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ**) كان المغيرة والياً على الكوفة في خلافة معاوية ، وكانت وفاته سنة ٥٠ هـ .

(**وَالْوَقَارِ**) الرزانة .

(**وَالسَّكِينَةِ**) السكون ، وإنما أمرهم بذلك مقدماً لتقوى الله ، لأن الغالب أن وفاة الأمراء تؤدي إلى الاضطراب والفتنة ، ولا سيما ما كان عليه أهل الكوفة إذ ذاك من مخالفة ولاة الأمور . (الفتح) .

(**حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ**) أي : بدل الأمير الذي مات .

(**اسْتَعْفُوا لأَمِيرِكُمْ**) أي : اطلبوا له العفو من الله .

(**فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ**) فيه إشارة إلى أن الجزاء يقع من جنس العمل .

(**وَرَبِّ هَذَا الْمَسْجِدِ**) مشعر بأن خطبته كانت في المسجد .

(**إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ**) إشارة إلى أنه وفى بما بايع عليه الرسول ، وأن كلامه خالص عن الغرض .

١- أهمية النصيحة في الإسلام .

٢- قيام جرير بما عاهد عليه النبي ﷺ من النصح .

٣- فضل جرير .

٤- شفقة النبي ﷺ على أمته لقوله لجرير (والنصح لكل مسلم) .

٥- مشروعية الخطبة على منبر .

٦- مشروعية الخطبة لعارض يعرض .

٧- مشروعية الحلف لتصديق الخبر .

٨- أن الحمد غير الثناء لقوله (فحمد الله وأثنى عليه) ومما يدل على ذلك قوله ﷺ (قال تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين قال: حمدني عبدي ، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى علي عبدي) رواه مسلم .

والله أعلم ؛؛؛

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

أخوكم

الشيخ/ سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

الموقع على الانترنت

www.almotaqeen.net